

الوحدة الاولى

تعريف علوم القرآن ومراحل تدوينه

العلوم جمع علم ، والعلم نقيض الجهل ، وهو مصدر مرادف للفهم والمعرفة ، ويراد به إدراك الشيء بحقيقته أو اليقين ، أو هو نور يقذفه الله في القلب . ويطلق العلم على مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة ، مثل علم النحو ، وعلم الطب ، وعلم الكيمياء .

ويجمع على (علوم) ، وقد تسمى به المباحث التي تتناول موضوعاً واحداً مثل : علوم العربية ، والعلوم الطبيعية ، والعلوم التجريبية .

تعريف القرآن لغةً : اختلف العلماء - رحمهم الله تعالى - في لفظ القرآن لكنهم اتفقوا على أنه اسم فليس بفعل ولا حرف ، وهذا الاسم شأنه شأن الأسماء في العربية إما أن يكون جامداً أو مشتقاً .

فذهب جماعة من العلماء الى أنه اسم جامد غير مهموز قال الشافعي : " وقرأت على إسماعيل بن قسطنطين وكان يقول : القرآن اسم وليس بمهموز ، ولم يؤخذ من قرأت ، ولو أخذ من قرأت لكان كل ما قرئ قرأناً ولكنه اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل ، يهمز قرأت ولا يهمز القرآن ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ ﴾ ، وبه قرأ ابن كثير ، وذهبت طائفة الى أن الاسم مشتق ثم افترقوا الى فرقتين :

فقال طائفة منهم : إن النون أصلية وعلى هذا يكون الاسم مشتقاً من مادة (قر ن) ثم اختلفوا :

١ - فقالت طائفة منهم الأشعري ، إنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضمته إليه ومنه قولهم : قرن بين البعيرين إذا جمع بينهما ، ومنه سُمي الجمع بين الحج والعمرة في إحرام واحد قران .

٢ - وقالت طائفة منهم الفراء ، إنه مشتق من القرائن جمع قرينة لأن آياته يشبه بعضها بعضاً ، وقالت طائفة منهم : إن الهمزة أصلية ثم افترقوا أيضاً إلى فرقتين :

١ - فقالت طائفة منهم اللحياني ، إن القرآن مصدر مهموز بوزن الغفران مشتق من قرأ بمعنى تلا ، سمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر ، ومنه قوله تعالى ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانْبَعِثْهُ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ﴾ القيامة : ١٧ / ١٨ ، أي : قراءته .

٢ - وقالت طائفة منهم الزجاج : إنه وصف على وزن فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع ، ومنه : قرأ الماء في الحوض إذا جمعه .

قال ابن الأثير : وسمي القرآن قرآناً ، لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض ، وهو مصدر كالغفران والكفران .

ولعل الراجح هو ما ذهب إليه اللحياني والزجاج أن الهمزة أصلية وأن لفظ القرآن مهموز وصف أو مصدر ، وأما ترك الهمزة فيه في بعض القراءات فهو من باب التخفيف ونقل حركتها إلى ما قبلها ، وهو كثير شائع ، ثم نقل من المصدرية أو الوصفية وجعل علماً كما ذهب إليه محققوا الأصوليين .

القرآن اصطلاحاً : وللعلماء في تعريف القرآن الكريم صيغ متعددة بعضها طويل ، ولعل أقربها تعريفهم للقرآن بأنه (كلام الله المنزل على محمد ﷺ المعجز بلفظه المتعبد بتلاوته المنقول بالتواتر المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس) .

علوم القرآن : يُعرَّف علوم القرآن كفن مدون بأنه : (هو مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله ، وجمعه ، وقراءاته ، وتفسيره ، وناسخه ومنسوخه ، واسباب نزوله ، ومكيه ومدنيه ونحو ذلك) ، ويسمى هذا العلم بـ (أصول التفسير) لأنه يتناول العلوم التي يشترط على المفسر معرفتها والعلم بها .

موضوعه : هو القرآن الكريم من أية ناحية من النواحي المذكورة في التعريف .
فضله وشرفه ومكانته : علوم القرآن الكريم من أفضل العلوم وأشرفها وأسمائها ، كما قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - : (لما كان القرآن العزيز أشرف العلوم ، كان الفهم لمعانيه أوفى المفهوم ، لأن شرف العلم بشرف المعلوم) .

فائدة علوم القرآن الكريم :

١ × تيسير تفسير القرآن الكريم ، فهي مفتاح باب التفسير ، ولا يصح لاحد أن يفسر القرآن الكريم قبل أن يتعلم علوم القرآن .

٢ × معرفة الجهود العظيمة التي بذلها السلف لدرااسة القرآن الكريم ، وعنايتهم الكبرى به وبعلمه التي كان لها الأثر في حفظه من التغيير والتبديل .

٣ × التسليح بمجموعة من المعارف القيمة التي تمكن من الدفاع عن هذا الكتاب العزيز ضد من يتعرض له من أعداء الإسلام ، ويبث الشكوك والشبهات في عقائده وأحكامه وتعاليمه .

٤ × الثقافة العالية العامة في القرآن الكريم .

المراحل التي مر بها التدوين في علوم القرآن :

المرحلة الأولى : علوم القرآن قبل عصر تدوين العلوم : يمكن للباحث أن يجد بدايات علوم القرآن في عصر النبوة متمثلة بالملاحظات والأحاديث التي تلقاه الصحابة عن رسول الله ﷺ المتصلة بالقرآن الكريم ، فمن سؤال الصحابة النبي ﷺ عن كيفية تلقيه القرآن بدأت المباحث المتعلقة بنزول القرآن ، ومن قراءته ﷺ على أصحابه وحثهم على تلاوته وحفظه نشأت المباحث الخاصة بالقراءات القرآنية ، ومن أمره ﷺ كُتِّب الوحي بكتابة ما ينزل من القرآن تأكدت سنة كتابة القرآن وجمعه في الصحف ، ونشأت من ذلك المباحث المتعلقة بكتابه ورسمه ، ومن بيانه ﷺ لمعنى عدد من آيات والكلمات القرآنية حين أشكل فهمها على بعض الصحابة نشأت المباحث المتعلقة بفهم القرآن وتفسيره . وتجمعت تلك الملاحظات لدى علماء الصحابة ، واختزنته ذاكرتهم ، ونقلوها إلى تلامذتهم من التابعين ، لكنهم لم يدونوها تدويناً منظماً ، لأن العلوم لم تكن قد دونت في عصرهم ، وكان القرآن الكريم أول كتاب مدون عرفته الأمة ، وحرصوا في الجيل الأول ألا يظهر بجانبه كتاب آخر ، لكن الضرورة أمّلت على علماء الأمة من التابعين وتابعيهم تدوين العلوم ، وكان نصيب علوم القرآن من جهودهم كبيراً .

المرحلة الثانية : علوم القرآن في عصر التدوين : يمكن القول إن تدوين علوم اللغة العربية وعلوم القرآن وغيرها قد بدأ في أواخر القرن الأول الهجري ومطلع القرن الثاني ، وأن القرن الثاني لم يَنْقُضْ إلا ومعظم العلوم قد دَوِّنَتْ وظهرت فيها المؤلفات ، ومن أوائل الكتب المؤلفة في علوم القرآن كتاب (التفسير) لعبدالله بن عباس (ت ٦٨ هـ) الذي رواه تلميذه مجاهد بن جبر المكي (ت ١٠٤ هـ) ، ومنها كتاب في هجاء (رسم) المصاحف لعبدالله بن عامر اليحصبي الدمشقي (ت ١١٨ هـ) ، وكتاب قراءة أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) ، ثم تتابع التأليف وكثر في علوم القرآن ، ويقدم ابن النديم صورة واضحة في كتابه (الفهرست) عن حركة التأليف في علوم القرآن ، حتى سنة ٢٧٧ هـ وهي سنة تأليفه الكتاب ، حيث ذكر أكثر من ٢٥٠ كتاباً في موضوعات متعددة من علوم القرآن ، وتتميز هذه المرحلة بأن لكل علم من علوم القرآن كتاباً خاصة به ، فالكتاب الواحد لا يتناول إلا مباحث علم واحد فلم تكن المؤلفات الجامعة قد ظهرت بعد .

المرحلة الثالثة : مرحلة المؤلفات الجامعة : خصص ابن النديم الفن الثالث من المقالة الأولى من كتابه الفهرست لعلوم القرآن ، وقال في مطلعها : (الفن الثالث في نعت الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وأسماء الكتب المصنفة في علومه وأخبار القراء وأسماء روايتهم)، وما فعله ابن النديم هنا يمثل بداية اتجاه جديد للتأليف في علوم القرآن يتمثل بجمع خلاصة لعلوم القرآن كافة في مكان واحد ، بعد أن كانت كتب علوم القرآن يختص كل كتاب منها بمباحث علم واحد ، واشهر الكتب التي اتبعت هذا المنهج :

- ١ . كتاب فنون الأفتان في عجائب علوم القرآن ، تأليف ابن الجوزي ، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ) .
- ٢ . جمال القراء وكمال الإقراء ، تأليف علم الدين السخاوي ، أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالصمد (ت ٦٤٣ هـ) .
- ٣ . المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، لأبي شامة المقدسي ، ابو القاسم عبدالرحمن بن اسماعيل (ت ٦٦٥ هـ) .
- ٤ . البرهان في علوم القرآن ، تأليف بدر الدين الزركشي ، محمد بن عبدالله (ت ٧٩٤ هـ) .
- ٥ . الإفتان في علوم القرآن ، تأليف جلال الدين السيوطي ، عبدالرحمن بن أبي بكر (٩١١ هـ)

وكتاب الإفتان هو أكبر كتاب في علوم القرآن ، جمع فيه السيوطي خلاصة ثمانين مبحثاً من مباحث علوم القرآن ، استخلصها من المؤلفات السابقة له وكان خاتمة للمؤلفات الجامعة في العصور المتقدمة .

المرحلة الرابعة : علوم القرآن في العصر الحديث : عاد العلماء إلى التأليف في علوم القرآن في العصر الحديث وتنوعت اتجاهات التأليف عندهم ، فمنهم من اتبع منهج المؤلفات الجامعة ، مثل الشيخ طاهر الجزائري (ت ١٩٢٠ م) في كتابه (التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن) ، الذي اختصر فيه بعض مباحث (الإفتان) للسيوطي ، والشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني (ت ١٩٤٨ م) في كتابه (مناهل العرفان

في علوم القرآن) ، ونحا هذا المنحى الدكتور صبحي الصالح في كتابه (مباحث في علوم القرآن) وغير هؤلاء كثير، ومنهم من ألف في علم واحد من علوم القرآن أو قضية من قضايا تاريخ القرآن ، مثل كتاب (الظاهرة القرآنية) لمالك بن نبي ، وكتاب (النبا العظيم) للدكتور محمد عبدالله دراز ، وكتاب (النسخ في القرآن) للدكتور مصطفى زيد ، وكتاب (الإعجاز البياني للقرآن) للدكتورة عائشة عبدالرحمن ، وكتاب (التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن) للأستاذ حنفي أحمد ، وغيرها كثير أيضاً ، وكان للمستشرقين دور في الدراسات الحديثة عن القرآن وعلومه ، لكن أكثر تلك الدراسات كانت تنطلق من نظرة يشوبها التعصب ، وأشهر ما كتبه كتاب (تاريخ القرآن) للمستشرق الألماني تيودور نولدكه ، الذي صدرت طبعته الأولى سنة ١٨٦٠م ، والذي قال عنه المستشرق آثر جفري : (وهو أن أساس كل بحث في علوم القرآن في أوروبا) ، وكتاب (مذاهب التفسير الإسلامي) للمستشرق المجري الأصل جولدتسهير (ت ١٩٢٠م) وكتاب (القرآن ، نزوله ، تدوينه ، ترجمته ، وتأثيره) للمستشرق الفرنسي بلاشير ، ومن الكتب التي كتبها باحث غربي واتسمت بالموضوعية الى حد كبير ، كتاب (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم) للكاتب الفرنسي موريس بوكاي ، الذي أراد في هذا الكتاب اختصار الكتب المقدسة في ضوء المعارف العلمية الحديثة ، والذي ختمه بقوله : (وبالنظر الى حال المعارف في عصر محمد ، لا نستطيع أن نفهم بأن كثيراً من الأخبار القرآنية التي لها سمة علمية يمكن أن تكون عمل إنسان ، ولذلك فإن المشروع ليس بأن يعتبر القرآن تعبيراً لوحي فقط ، بل بأن يعطي مركزاً ممتازاً لما يتمتع به من الأصالة الفريدة ولوجود أخبار علمية لديه ظهرت كتحد للتفسير الإنساني .

إن التأليف في علوم القرآن في اتجاهيه العام والخاص لم ينقطع منذ بدئه الى زماننا ، وهو يعكس مقدار عناية الأمة بالقران الكريم ، والحاجة الدائمة الى مؤلفات توضح تاريخ النص القرآني ، وتكشف عن وجوه إعجازه ، وتبين ما يتضمنه من الحكمة ومعالم الهداية التي تتطلع اليها البشرية أفراداً وجماعات في جميع العصور .

الوحدة الثانية

الوحي

الوحي لغةً : الإعلام الخفي السريع ، او الاعلام في تخفاء ويطلق على الإلهام الفطري والغريزي والإشارة السريعة.

الوحي اصطلاحاً :- اختلف العلماء في تعريف الوحي ، فمنهم من يعرفه فيقول : كلام الله تعالى المنزل على أحد انبيائه ، وقيل : هو ما أنزل الله على أنبيائه وعرفهم به من أنباء الغيب والشرائع ، ومنهم من يقول : هو إعلام الله لأحد أنبيائه بحكم شرعي أو نحوه .

أنواع الوحي بالمعنى الشرعي :

١ - ما يكون مناماً : وهو اول مراتب الوحي كما جاء في حديث عائشة - رضي الله عنها - : (أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة - وعند مسلم الصادقة - في النوم وكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح) ، وليست الرؤيا خاصة بالفترة الأولى من الوحي ، بل وقعت بعد ذلك كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ

اللَّهُ رَسُولَهُ الرَّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَأَمِينٌ مُّخْلِفينَ رُؤُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾ الفتح / ٢٧ ، ووقع الوحي بالمنام لإبراهيم عليه السلام كما جاء في القرآن عنه

قوله : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَتَأْتِيَ أَفْعَلٌ مَا تُؤْمَرُ سَخِحْتِنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَتَدَيَّتْهُ أَنْ يَتَأَبَّرَهُمْ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ الصافات / ١٠٢-١٠٥

ومبادرة ابراهيم عليه السلام للامتثال وقول اسماعيل عليه السلام ﴿ أَفْعَلٌ مَا تُؤْمَرُ ﴾ وقوله تعالى

﴿ قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا ﴾ دليل قاطع على أن رؤيا الأنبياء عليهم السلام وحي ، ، وأمر من الله سبحانه لهم عليهم السلام ، وفي ابتداء النبي ﷺ من الوحي بالرؤيا الصالحة في المنام تهيئة واستعداد لتلقي الوحي في اليقظة ، ويدل على هذا حديث علقمة بن قيس صاحب عبدالله بن مسعود عليه السلام قال : (إن أول ما يؤتي به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم ، ثم ينزل الوحي في اليقظة) ، ولم ينزل من القرآن شيء عن طريق الوحي بالمنام ، وقد ظن بعضهم أن سورة الكوثر نزلت في المنام مستدلاً بحديث أنس بن مالك عليه السلام بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءه ثم رفع رأسه مبتسماً ، فقلنا : ما اضحكك يا رسول الله ، قال : (أنزلت عليه آنفاً سورة فقرأ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) الله الرحمن الرحيم ، انا أعطيناك الكوثر . فصل لربك وانحر . إن شانئك هو البطر الحديث) ، والصحيح أن هذه الإغفاءة ليست إغفاءة نوم فقد حكى السيوطي عن الرافعي قوله : (وقد يحمل ذلك على الحالة التي كانت تعتريه عند نزول الوحي ، ويقال لها : بُرْحَاء الوحي ، وقلت : - القائل هو السيوطي - : الذي قاله الرافعي في

غاية الاتجاه ، وهو الذي كنت أميل إليه قبل الوقوف عليه . ونقل القسطلاني عن أمالي الرافعي قوله (الأشبه أن القرآن نزل كله يقظه). وبهذا يظهر أنه لم ينزل قرآن على الرسول ﷺ في المنام والله أعلم .

٢ - ما كان مكالمة بين العبد وربّه، قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذَانِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٍ ﴾ الشورى / ٥١ ، ومن هذا النوع تكليم الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ النساء / ١٦٤ ، وقوله سبحانه ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ الاعراف / ١٤٣ ، ومنه تكليم الله لنبينا محمد ﷺ في المعراج حيث قال : (فأوحى الله إلي ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة).

٣ - ما يكون إلهاماً : يقذفه الله في قلب نبيه على وجه من العلم الضروري لا يستطيع له دفعا ولا يجد فيه شكاً ، ومنه حديث ابن مسعود - رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها ، ألا فاتقوا الله ، وأجملوا في الطلب).

٤ - ما يكون بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام : وهذا النوع من اشهر الأنواع وأكثرها ، وهو المصطلح عليه بـ (الوحي الجلي) ، ووحى القرآن كله من هذا القبيل ، ولم ينزل شيء من القرآن على الرسول ﷺ بغير هذا النوع كالإلهام أو المنام أو التكلم بلا واسطة ، يدل على هذا قوله تعالى ﴿ وَإِنَّمَا لَنُنزِلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ الشعراء / ، وقوله سبحانه ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ

رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ النحل / ١٠٢ . والوحي بجميع أنواعه بالمعنى الشرعي يصحبه علم يقيني ضروري **ويضيه العلم اليقيني الضروري** من النبي بأن ما ألقى إليه حق من عند الله ، ليس من خطرات النفس ، ولا وسوسة الشياطين ، وهذا العلم اليقيني لا يحتاج إلى مقامات ، وإنما هو من قبيل إدراك الأمور الوجدانية كالجوع والعطش .

وقد ذكرت هذه الأقسام الأربعة في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ

مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذَانِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٍ ﴾ الشورى / ٥١ .

كيفية وحي الملك إلى الرسول :

الوحي يقوم على اتصال بين جبريل عليه السلام وهو ملك وبين الرسول ﷺ وهو (بشر) ، وحين يكون حديث بين اثنين عربي وعجمي - مثلاً - فإن التفاهم بينهما يحتاج إلى أن يتعلم أحدهما لغة الآخر ، والوحي اتصال بين (ملك) و (بشر) فالامر يحتاج الى غلبة البشرية على الملك فيفهم البشر كلامه أو غلبة الروحانية على البشر فيسهل على الملك تبليغه ، وقد أشار الى هذا المعنى ابن حجر - رحمه الله - تعالى حيث قال : (إن العادة جرت بالمناسبة

بين القائل والسامع ، وهي هنا إما باتصاف السامع بوصف القائل بغلبة الروحانية وهو النوع الأول ، وإما باتصاف القائل بوصف السامع وهو البشرية وهو النوع الثاني)، وقال الزركشي في البرهان ، والسيوطي في الاتقان : (وفي التنزيل طريقان : أحدهما : أن النبي ﷺ انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملكية وأخذه من جبريل ، والثاني : أن الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذه الرسول منه ، والأول اصعب الحالين)، ووصف ابن خلدون الحالة الأولى بأنها انسلاخ من البشرية الجسمانية واتصال بالملكية الروحانية ، والحالة الأخرى عكسها لأنها انتقال الملك من الروحانية المحضة إلى البشرية الجسمانية.

وبهذا يتبين أن وحي الملك جبريل ﷺ إلى الرسول ﷺ يكون بإحدى حالتين: -
الحالة الأولى : أن يأتيه مثل صلصلة الجرس.

الحالة الثانية : في صورة رجل : أن يأتي جبريل ﷺ إلى الرسول ﷺ في صورة رجل كدحية الكلب أو أعرابي مثلاً فيكلمه كما يكلمه البشر وقد ورد ذكر هاتين الحالتين في الحديث الذي رواه عائشة - رضي الله عنها - أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ : كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ : (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده علي ، فيفصم عني وقد وعيت ما قال ، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً ، فيكلمني فأعي ما يقول)، قالت عائشة - رضي الله عنها - : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد وإن جبينه ليترعد عرقاً.

هذه
كأية

الوحدة الثالثة

نزول القرآن

النزول لغة:- الحلول يقال نزل فلان بالمدينة أي حل بها، والمتعدي منه معناه

الإحلال يقال أنزلته بين القوم أي احلته بهم ، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أُنزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ

خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٩ ، ويطلق النزول أيضا على أنحدار الشيء من علو

الى سفلى يقال: نزل فلان من الجبل والمتعدي منه معناه التحريك من علو الى أسفل

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ البقرة: ٢٢، وكلا المعنيين اللغويين لا يليقان

بنزول القرآن على وجه الحقيقة لأقتضائهما الجسمية والمكانية والانتقال والقرآن ليس

جسما حتى يحل في مكان أو ينحدر من علو الى أسفل وعلى هذا لا بد من حمل اللفظ

على المعنى المجازي وليكن المعنى المجازي لأنزال القرآن هو (الأعلام).

أ - تنزلات القرآن الكريم :

للقرآن الكريم نزولان :

الأول : تنزله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ، ودليله قول الله

تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ الدخان / ٣. وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ

فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ القدر / ١ وقوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ البقرة: /

١٨٥ ، وأخرج النسائي والحاكم عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس قال : فصل

القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا ، فجعل جبريل ينزل به على

النبي ﷺ ، وأخرج النسائي والحاكم من طريق داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن

ابن عباس أنه قال : انزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر ، ثم أنزل

بعد ذلك في عشرين سنة ، ثم قرأ : ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْنَا وَمَا أَنْزَلْنَاكَ إِلَّا مِبْرَأً وَنَذِيرًا

﴿١٠٥﴾ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ الاسراء / ١٠٥-١٠٦

الثاني : تنزل القرآن من بيت العزة في السماء الدنيا على قلب النبي ﷺ بواسطة

جبريل عليه السلام منجماً ، قال الله تعالى : ﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ

الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ الشعراء / ١٩٣-١٩٥ .

ب - نزل القرآن منجماً :

تتابع نزول القرآن منجماً ، فكانت تنزل الآية أو الآيات أو الأيات في أوقات

مختلفة ، ودليل ذلك من القرآن قوله تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ

وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ الاسراء / ١٠٦ ، ويضاف الى هذا الدليل القرآني الصريح ، أنه قد

ثبت ثبوتاً قاطعاً في السنة والسيرة النبوية أن القرآن لم ينزل على رسول الله ﷺ جملة

واحدة ، وإنما نزل مفرقاً خلال مدة بعثته المباركة والتي قدرت بثلاثة وعشرين عاماً

تقريباً ، قال السيوطي في (الإتيان) : الذي استقرئ من الاحاديث الصحيحة وغيرها : أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة ، خمس آيات وعشراً ، وأكثر وأقل ، وقد صح نزول العشر آيات في قصة الإفك جملة ، وصحّ نزول عشر آيات من أول المؤمنون جملة ، وصحّ نزول ﴿ عَمَّا أُولَى الضَّرِّ ﴾ النساء / ٩٥ . وحدها ، وهي بعض آية ، وكان هذا التنجيم في نزول القرآن سبباً في اعتراض اليهود والمشركين وتساؤلهم لماذا لم ينزل القرآن كما نزلت التوراة جملة واحدة ، وقد أنزل الله عز وجل آية كريمة تسجل هذا الاعتراض وترد عليه وهي قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً

وَجِدَةٌ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ الفرقان / ٣٢ .

* - جكم نزول القرآن منجماً :

نستطيع أن نتعرف على حكم نزول القرآن منجماً من الآيتين الكريمتين :

﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً ﴾ الاسراء / ١٠٦ . ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا

لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَجِدَةٌ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ الفرقان / ٣٢ .
اللتين ورد فيهما الرد على اعتراض المشركين واليهود بالحجة الدامغة ، كما أن هناك أسراراً لهذا التنجيم تُدرك بالعقل والاجتهاد ، وهذه الحكم والأسرار هي :

١ - تثبت فؤاد النبي ﷺ : وهذا ما صرحت به الآية ﴿ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾

كان النبي ﷺ بحاجة لهذا التثبيت وهو يواجه من الناس القسوة والنفور ، ويجد من الكثيرين في مكة الغلظة والجفاء والاصرار على الكفر ، مع رغبته الصادقة في هدايتهم الى الحق ، فكان الوحي يتنزل على رسول الله ﷺ بين وقت وآخر فيشحن من همته ويزيد من صبره وتحمله ، بل كان ينزل القرآن في أحلك الأوقات وأقسى الحالات شدة ، وإذا بالآيات تدعو رسول الله ﷺ الى متابعة الطريق بكل صبر وثبات ، وتقص عليه ما لقي الانبياء من أتباعهم من قسوة وعناد ، قال تعالى : ﴿ قَدْ تَعَلَّمَ إِنَّمَا

لِيَحْرُوكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ

مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوَدُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَائِ

الْمُرْسَلِينَ ﴾ الانعام / ٣٣ - ٣٤ .

قال أبو شامة : (فإن قيل : ما السر في نزول القرآن منجماً ؟ وهلاً أنزل كسائر الكتب

جملة ؟ قلنا : هذا سؤال قد تولى الله جوابه فقال تعالى ﴿ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾

أي لنقوي به قلبك ، فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب وأشدّ عناية بالمرسل اليه ، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك اليه وتجديد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز ، فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة ، ولذلك كان رسول الله ﷺ أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقاياه جبريل .)

٢ - تيسير حفظ القرآن وتسهيل فهمه : وذلك لأن القرآن نزل على أمة تغلب فيها الأمية ، فلا تعرف القراءة والكتابة وإنما سجلها ذاكرتها ، قال تعالى في إثبات ذلك :

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن

كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ الجمعة / ٢ ، فكان من رحمة الله بهذه الأمة أن يسر لها حفظ القرآن وسهل عليهم فهم آياته التي تنزل مفرقة خلال فترات منقطعة من الزمن فيحفظونها ويفهمونها ، وكان القرآن ينزله منجماً رسم للصحابة الكرام منهجاً تعليمياً طبقوه في حياتهم وتوارثه عنهم التابعون وهو التعلم التدريجي ، أخرج البيهقي في (شعب الإيمان) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات ، وأخرج ابن عساکر عن أبي نضرة قال : كان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يعلمنا القرآن خمس آيات بالعادة ، وخمس آيات بالعشي ويخبر أن جبريل نزل بالقرآن خمس آيات خمس آيات.

٣- التدرج في التشريع : قضت إرادة الله أن يتم الإصلاح الاجتماعي بصورة تدريجية ، لأنه ليس من الممكن أن ينقلب المجتمع الجاهلي الفاسد بين عشية وضحاها إلى مجتمع صالح ، فكانت آيات القرآن تراعي الانقلاب التدريجي ، وتراعي بناء الأسس الثابتة لهذا التغيير ، فنزلت أولاً الآيات المتعلقة بالعقيدة ودلائلها ، والآيات الداعية إلى محاسن الأخلاق ، حتى إذا أمن الناس وزكت نفوسهم نزلت آيات الحلال والحرام في تدرج حكيم ، ويدل على ذلك ما رواه البخاري عن عائشة - رضي الله عنها ، أنها قالت : إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء : لا تشربوا الخمر لقالوا : لا ندع الخمر أبداً ، ولو نزل : لا تزنوا ، لقالوا : لا ندع الزنى.

٤ - مسابرة الحوادث : وإيجاد الحلول المناسبة للحوادث الطارئة ، لتكون آيات القرآن أوقع في النفس والصق بالحياة ، ومن ذلك : لما توفي عبدالله بن أبي - راس المنافقين - دُعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام عليه ، فلما وقف قال عمر : أعلى عدو الله عبدالله بن أبي القائل كذا وكذا ، والقائل كذا وكذا ؟ يُعِدُّ أيامه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بيتسم ، ثم قال له : (إني قد خُيرتُ ، قد قيل لي : ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ

تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي

الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ التوبة / ٨٠ . فلو أعلم أنني إن زدت على السبعين غفر لزدت عليها)

، ثم صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومشى معه حتى قام على قبره حتى فرغ منه ، قال عمر : فعجبتُ لي ولجراتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ورسوله أعلم ، فوالله ما كان

يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان : ﴿ وَلَا تَضِلَّ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ

كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴾ التوبة / ٨٤ . فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على

منافق بعد حتى قبضه الله عز وجل ، وحين تخلف نفر من المؤمنين الصادقين في

غزوة تبوك ، وأقاموا بالمدينة ، ولم يجد رسول ﷺ لديهم عنراً ، هجرهم وقاطعهم ، حتى ضاقوا ذرعاً بالحياة ، ثم نزل القرآن بقبول توبتهم ، فكان درساً في عدم التخلف عن الجهاد لا يمكن أن ينساه أو يتجاهله أي مسلم ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ التوبة / ١١٧ - ١١٨ .

٥ - الدلالة القاطعة على أن القرآن كلام الله وحده : لقد عرفت أن هذا القرآن نزل مفرقاً على رسول الله في مدة ثلاثة وعشرين عاماً ، تنزل منه الآية أو الآيات في فترات زمنية ، ومع ذلك فإنك تجده من أوله إلى آخره محكم السرد ، دقيق السبك ، متين الأسلوب ، قوي الاتصال ، أخذاً بعضه برباق بعض في سورة وآياته ، وكأنه عقد فريد نظمت حياته بشكل دقيق وفريد بما لم يُعهد له مثيل من كلام البشر لا من

قبل ولا من بعد ، قال تعالى : ﴿ الرَّكْبُ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ هود / ١ ، وهذا التناسق وعدم الاختلاف في أسلوب القرآن أكبر دليل على أنه كلام الله العليم الحكيم ، إذ لو كان من كلام المخلوقين لظهر فيه الاختلاف من سنة إلى أخرى ، قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا

كَثِيرًا ﴿٢﴾ النساء / ٨٢ ، وحتى احاديث النبي ﷺ رغم أنها في ذروة الفصاحة والبلاغة بعد القرآن ، فإنها لا تنتظم حياتها في كتاب واحد سلس العبارة فيه وحدة وترابط كالقرآن ، أو ما يدانيه في الاتساق والانسجام .

٦ - توثيق وقائع السيرة النبوية : والدلالة من خلال الآيات القرآنية المنجمة على أن محمداً ﷺ خاتم النبيين ، وتشكل السيرة النبوية من خلال الحوادث ، وضمها إلى قصص الانبياء ، وسير المرسلين ، وحياة السابقين وتوثيق ذلك إلى درجة التواتر ، ورسم القواعد التي تُبنى وفقها السيرة النبوية بوصفها المقدمة للتاريخ الإسلامي منذ جيل الصحابة وحتى عصرنا الحاضر .

أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن :
يُعتمد في هذا البحث على النقل والتوقيف ، ولا مجال للعقل فيه إلا بالترجيح بين الأدلة .
١ - أول ما نزل :-

القول الاول : أن أول ما نزل هو صدر سورة ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ

عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ العلق / ١ - ٥ . وهذا اصح الأقوال ويستند الى حديث صحيح رواه البخاري ومسلم وغيرهما ، عن عائشة

– رضي الله عنها – قالت : " أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء ، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة – رضي الله عنها – فتزوده لمثلها ، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فيه ، فقال : اقرأ ، قال رسول الله ﷺ : فقلت ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : (اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ : ما لم يعلم) فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال : زملوني حتى ذهب عنه الروع وفي رواية أخرى دثروني ، دثروني .

القول الثاني : أن أول ما نزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ويستند هذا القول الى حديث رواه البخاري ومسلم عن أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف انه قال : سألت جابر بن عبدالله – رضي الله عنهما - : أيُّ القرآن أنزل قبل ؟ فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾

﴿ فقلت : أو ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ فقال : أحدثكم ما حدثنا به رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : إني جاورت بحراء فلما قضيت جواربي نزلت ، فاستبطنت الوادي فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي ، ثم نظرت إلى السماء فإذا هو – يعني جبريل – جالس على عرش بين السماء والأرض فأخذتني رجفة فأتيت خديجة ، فأمرتهم فدثروني فأنزل الله ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ﴿ قُرْآنًا نَّذِيرًا ﴾ ، والمعروف أن هذه الآية نزلت بعد فترة الوحي ، فكانت أول ما نزل على الرسول بعدها ، ففعل جابراً سمع من الرسول ﷺ حديثه عن أول ما نزل عليه من القرآن بعد فترة الوحي ، فاعتبر ذلك أول ما نزل على الإطلاق ، وانه ﷺ استخرج ذلك باجتهاده ، وليس هو من روايته فيقدم عليه ما روته عائشة .

القول الثالث : أن أول ما نزل هو الفاتحة ، ويستند هذا القول الى حديث مرسل رواه البيهقي عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل : أن رسول الله ﷺ قال لخديجة ولم يذكر في السند اسم الصحابي : (إني خلوت وحدي سمعت نداء فقد والله خشيت أن يكون هذا أمراً ، فقالت : معاذ الله ، ما كان ليفعل بك ، فوالله إنك لتؤدي الامانة وتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة حديثه له وقالت : اذهب مع محمد الى ورقة فانطلقا ، فقصا عليه ، فقال : " إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي : يا محمد ! يا محمد ! فانطلق هارباً في الأفق " فقال : لا تفعل ، إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ، ثم انتني فأخبرني ، فلما خلا ناداه : يا محمد ! قل : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ حتى بلغ : ﴿ وَلَا الْمَسْأَلِينَ ﴾ ، هذا الحديث لا يقوى على معارضة حديث عائشة – رضي الله عنها – السابق في بدء الوحي ، ولم يقل بهذا الرأي الا قلة من العلماء منهم الزمخشري صاحب (الكشاف) .

القول الرابع : أن أول ما نزل (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ويستند هذا القول إلى ما أخرجه الواحدي بسنده عن عكرمة والحسن قالا : أول ما نزل من القرآن (بسم الله الرحمن الرحيم) وأول سورة (سورة اقرأ ، وهذا الحديث مرسل أيضاً فليست له قوة الحديث الصحيح ، ويضاف الى ذلك أن البسمة تجيء في أول كل سورة إلا ما استثنى ، ومعنى ذلك أنها نزلت صدرأ لسورة اقرأ ، ومما ذكرناه تعقيباً على الأقوال الثلاثة المتأخرة يترجح القول الأول وهو أن أول ما نزل صدر سورة (اقرأ) .

٢- آخر ما نزل : أما آخر ما نزل من القرآن ، ففيه أقوال كثيرة أصحها وأشهرها :-

١- قول الله تعالى في سورة البقرة ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ البقرة / ٢٨١ ، فقد أخرج النسائي وغيره عن ابن عباس ؓ أن هذه الآية آخر ما نزل من القرآن ، وعاش النبي ﷺ بعد نزولها تسع ليال .

٢- أن آخر ما نزل قوله تعالى ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ النساء / ١٧٦ ، وهي خاتمة سورة النساء .

٣- أن آخر ما نزل هو سورة النصر : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ النصر / ١

٤- أن آخر ما نزل سورة المائدة وفيها قول الله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ

وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ المائدة / ٣ .

واصح ما يجاب به عن هذه الأقوال أنها أواخر نسبية : فأية الكلاله آخر ما نزل من الموارد ، وأن سورة المائدة آخر ما نزل في الحلال والحرام ، وقد اتفق العلماء على أن آية ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ نزلت يوم عرفة من حجة الوداع ، وروي أن عمر بن الخطاب ؓ لما نزلت هذه الآية فقال له ﷺ ما يبكيك يا عمر ؟ فقال : أبكاني أنا كُنَّا في زيادة من ديننا فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص ، قال : صدقت ، فكانت هذه الآية نعي رسول الله ﷺ ، أما سورة النصر : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾

فإنها آخر ما نزل مشعراً بوفاة النبي ﷺ ، ويؤيده ما روي من أنه ﷺ قال حين نزلت : (نُعِيَتِ إِلَيَّ نَفْسِي) ، وكذلك فهم بعض كبار الصحابة ، وأما آية ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا

تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ البقرة / ٢٨١ ، فهي آخر ما نزل مطلقاً على الأرجح ، ويؤيده ما روي أنه ﷺ لم يمكث بعدها الا تسع ليال أو سبعة أيام ، ثم أنتقل الى الرفيق الأعلى .

الوحدة الرابعة

أسباب النزول، وفوائدها، وطريقة معرفتها

تعريف سبب النزول:

عرفه السيوطي: (ما نزلت الآية أيام وقوعه)

وعرفه الزرقاني: (ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه) وهذا أتم.

لا يلزم كون النزول بعده مباشرة، بل بعد زمن يسير، حادثة الإفك نزلت بعدها بشهر، وقصة أصحاب الكهف وذي القرنين بعد ١٥ يوم.

أهمية علم سبب النزول:

علم أسباب النزول من علوم القرآن المهمة التي اعتنى بها علماء المسلمين قديماً وحديثاً، وقد دلّ على مدى اهتمامهم بهذا العلم: أ/كثرة الجهود المبذولة في سبيل تدوينه، وإفرادهم له بالعديد من المؤلفات الخاصة.

من أشهر من ألف فيه:

١- علي بن المديني شيخ البخاري (ت: ٢٣٤)، ذكر أحمد صقر أنه لم يصل إلينا.

٢- أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت: ٤٦٨) كتابه: أسباب النزول، حقق عدة مرات أحمد صقر، وأيمن صالح شعبان، وكمال بسيوني، وعصام الحميدان في رسالة ماجستير.

٣- برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري (ت: ٧٣٢) الذي اختصر كتاب الواحدي بحذف أسانيده ولم يزد عليه شيئاً. حققته الطالبة خلود الجعفري في كلية الآداب للبنات في الدمام.

٤- أبو الفضل شهاب الدين الحافظ ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢) في كتابه: العجائب في بيان الأسباب، صدر بتحقيق الأستاذ عبدالحكيم محمد الأنيس إلى آية ٧٨ من سورة النساء.

٥- جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت: ٩١١) في كتابه: لباب النقول في أسباب النزول.

٦- مقبل بن هادي الوادعي كتابه: الصحيح المسند من أسباب النزول.

ب/ عقدوا له باباً مستقلاً في علوم القرآن.

ج/ أول ما يورده المفسرون للآية.

ولا يعني الاهتمام بأسباب النزول أن نلتمس لكل آية سبباً.

فالقرآن من جهة النزول قسمان:

ما نزل ابتداءً ولا يتوقف على سبب وهو الأكثر؛ لأن القرآن أنزله الله هداية للبشرية جمعاء فهو الذي يعلم ما يحقق نفعهم ومصالحهم.

ما ينزل بشأن حادثة مخصوصة مثل/ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. خرج

النبي ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف: يا صباحاه، فاجتمعوا إليه فقال "أرأيتم لو

أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟!.. " الحديث ، فقال أبو لهب تبا لك، إنما جمعنا لهذا، ثم قام، فنزل قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١].

فائدة: (يسألونك) في القرآن ثلاثة عشر مرة؛ وقد يكون السؤال: عن أمر مضى (عن ذي القرنين) أو عن أمر حاضر (عن الروح) أو يتصل بأمر مستقبل (عن الساعة).

طرق معرفة سبب النزول:

تحدث العلماء عن الطرق التي تثبت بها أسباب النزول، وحصروها في: النقل عن الرسول ﷺ.

أخبار وروايات الصحابة ، الذين شاهدوا الوحي وعاصروا نزوله، وعاشوا الوقائع والحوادث وظروفها. ولهذا قال الإمام الواحدي: ولا يحل القول في أسباب النزول إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها.

وقد اتفق علماء الحديث على اعتبار قول الصحابي في سبب النزول لأن أسباب النزول غير خاضعة للاجتهاد فيكون قول الصحابي حكمه الرفع، خاصة قوله الصريح في النزول: (نزلت هذه الآية في كذا) كما قال الحاكم وابن الصلاح.

وإذا كان السبب غير صريح فلم يدخله بعض العلماء في المرفوع (كالإمام أحمد ومسلم).

قول التابعي كذلك له حكم المرفوع إلا أنه مرسل، فقد يقبل إذا صح السند إليه، وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة، كمجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، أو اعتضد بمرسل آخر.

والخلاصة: أن الطريق لمعرفة سبب النزول النقل الصريح عن النبي ﷺ، وما صح عن الصحابة، وكذا الأخبار التي نقلها التابعون، الذين تلقوا العلم عن الصحابة، تعتبر مرجعاً مهماً في معرفة أسباب النزول. وكان من هدي السلف الصالح رضي الله عنهم التحرز عن القول في أسباب النزول من غير خبر صريح أو علم صحيح.

صيغة السبب:

١- تكون نصاً صريحاً في السببية إذا صرح الراوي بالسبب بأن يقول: سبب نزول هذه الآية كذا، أو يأتي الراوي بفاء التعقيب بعد ذكر الحادثة، بأن يقول: سئل رسول الله ﷺ عن كذا، فنزلت الآية.

٢- تكون محتملة للسببية إذا قال الراوي: أحسب هذه الآية نزلت في كذا، أو ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في كذا، مثال ذلك ما حدث للزبير والأنصاري ونزاعهما في سقي الماء، وتشاكيا إلى رسول الله ﷺ ونفذ فيهما حكم الله، فكان الأنصاري لم يعجبه هذه الحكم، فنزل قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُعَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]. فقال الزبير ما أحسب هذه الآية إلا في ذلك.

فينبغي الحذر والتيقظ، فلا نخلط بأسباب النزول ما ليس منها، فقد يقع على لسانهم قولهم: نزلت هذا الآية في كذا ويكون المراد موضوع الآية، أو ما دلت عليه من الحكم.

أما عن حكمة وفوائد هذا العلم - كما ذكرها العلماء - فهي كثيرة، منها:

١. معرفة وجه ما ينطوي عليه تشريع الحكم على التعيين لما فيه نفع المؤمنين وغير المؤمنين، فالمؤمن يزداد إيماناً على إيمانه لما شاهده وعرف سبب نزوله، والكافر إن كان منصفاً يبهره صدق هذه الرسالة الإلهية فيكون سبباً لإسلامه، لأن ما نزل بسبب من الأسباب إنما يدل على عظمة المنزل وصدق المنزل عليه.

٢. أن معرفة أسباب النزول تُعين القارئ لكتاب الله على فهمه فهماً صحيحاً سليماً، وذلك أن العلم بالسبب يُورث العلم بالمسبب. ولنمثل لذلك بمثال، وهو قوله تعالى: {وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها} (البقرة: ١٨٩) فهذه الآية لا يستقيم فهمها فهماً صحيحاً إلا في ضوء معرفة سبب نزولها، وقد جاء في سبب نزولها، ما رواه البخاري من حديث البراء _ أنه قال: (كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره، فأنزل الله {وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها} فالمراد من الآية على ضوء سبب نزولها ليس مجرد الأمر بالدخول من الأبواب على حقيقته، بل المراد منها الأمر بالتزام أوامر الله ونواهيه، وطاعته على وفق ما أمر وشرع. وأمثلة هذا كثير في القرآن.

٣. الاستعانة على إزالة الإشكال عن الآية، لما هو معلوم من الارتباط بين السبب والمسبب. قال الواحدي: لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها.

قال ابن دقيق العيد: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن. وقال بعض العلماء: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب.

وقد أشكل على بعضهم قوله تعالى: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا...} [آل عمران: ١٨٨].

وقال: لأن كان كل امرئ فرح بما أوتي، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً، لنعذبهم أجمعون، حتى بين له ابن عباس أن الآية نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي ﷺ عن شيء، فكنموه إياه، وأخبروه بغيره، وأرؤه أنهم أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه.

٤. تيسير حفظ كتاب الله وتثبيت معناه، لأن ربط الأحكام بالحوادث والأشخاص والأزمنة والأمكنة يساعد على استقرار المعلومة وتركيزها.

٥. إنه يمكن من معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومن المعلوم أن هناك من الآيات ما يصعب فهم المراد منها، ويقع الخطأ في تفسيرها في حال الجهل بأسباب نزولها.

٦. دخول من نزلت الآية فيه دخولاً أولياً فيما إذا كان اللفظ عاماً.
٧. دفع توهم الحصر، قال الإمام الشافعي ما معناه في قوله تعالى: {قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا...} [الأنعام: ١٤٥]: إن الكفار لما حرموا ما أحل الله، وأحلوا ما حرم الله، وكانوا على المضادة - أي تصرفهم بقصد المخالفة - جاءت الآية مناقضة لغرضهم فكأنه قال: لا حلال إلا ما حرمتموه، ولا حرام إلا ما أحلتموه.

٨. معرفة اسم النازل فيه الآية، وتعيين المبهم فيه، وبيان فضله ونفي التهمة عنه كما في حادثة الإفك.

٩. تخصيص الحكم السبب عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ، فعند هؤلاء ما لم يعرف السبب لا يمكن معرفة المقصود بالحكم، ولا القياس عليه، وتبقى الآية معطلة خالية من الفائدة.

من هنا كان من الأهمية بمكان - لقارئ كتاب الله عامة وللمفسر خاصة - أن يكون على علم ودراية بأسباب النزول؛ ليكون على بصيرة من كتاب ربه، فيفهمه فهماً صحيحاً سليماً، أما إذا لم يكن على معرفة وبينه من تلك الأسباب فربما فهمه على غير ما قصد منه، فيكون قد أخطأ من حيث أراد الصواب.

ومن المفيد هنا الإشارة إلى أن العلماء قرروا قاعدة متعلقة بأسباب النزول: مفادها أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وتعني هذه القاعدة باختصار، أن النص الشرعي إذا ورد بسبب واقعة معينة حصلت في عصر التنزيل، فإن الحكم لا يكون مقتصراً على تلك الواقعة فحسب، وإنما يكون حكماً عاماً في كل ما شابهها من وقائع ونوازل، وذلك أن أحكام القرآن - من حيث الأصل - هي أحكام عامة لكل زمان ومكان، وليست أحكاماً خاصة بأفراد معينين.

ولتوضيح هذه المسألة نذكر مثلاً يكشف المقصود منها: فقد أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه، أن هلال بن أمية قذف امرأته بـ شريك بن سحماء، فقال له رسول الله ﷺ: (البينة أو حدٌ في ظهرك) فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا مع امرأته رجلاً، ينطلق يلتمس البينة، فأنزل الله تعالى: {والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين} (النور: ٦).

فهذه الآية سبب نزولها خاص، وهو هذه الحادثة، إلا أن حكم اللعان الذي جاءت به حكم عام، حُوطب به جميع المسلمين، ومن هنا قال أهل العلم: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

نختم بمسألتين:

مسألة تعدد الأسباب والمُنزَّل واحد:

وذلك بأن تقع عدة وقائع في أزمنة متقاربة، فتنزل الآية لأجلها كلها، وذلك واقع في مواضع متعددة من القرآن.

والعمدة في ذلك على صحة الروايات، فإذا صحت الروايات بعدة أسباب ولم يكن ثمة ما يدل على تباعدها كان ذلك دليلاً على أن الكل سبب لنزول الآية والآيات.

مثال ذلك: آيات اللعان: فقد أخرج البخاري: أنها نزلت في هلال بن أمية لما قذف امرأته عند النبي ﷺ ، فأنزل الله: {وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ ..} [النور: ٦].

وفي الصحيحين : أنها نزلت في عويمر العجلاني وسؤاله النبي ﷺ عن الرجل يجد مع امرأته رجلاً... فقال ﷺ: "إنه قد أنزل فيك وفي صاحبك القرآن".
وظاهر الحديثين الاختلاف، وكلاهما صحيح.

فأجاب الإمام النووي: بأن أول من وقع له ذلك هلال، وصادف مجيء عويمر أيضاً، فنزلت في شأنهما معاً.

مسألة تعدد النزول مع وحدة السبب:

١- قد يتعدد ما ينزل والسبب واحد ومن ذلك ما روي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء، فأنزل الله {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ} [آل عمران: ١٩٥].

٢- عن أم سلمة قالت: يا رسول الله ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال، فأنزلت: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ} [الأحزاب: ٣٥].

٣- عن أم سلمة أنها قالت: تغزوا الرجال ولا تغزوا النساء، وإنما لنا نصف الميراث، فأنزل الله: {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ} [النساء: ٣٢].

الوحدة الخامسة

المكي والمدني

تعريف المكي والمدني المركب تركيباً عطفياً.

لغة: نسبة إلى مكة والمدينة.

واصطلاحاً: هو علم يبحث منازل القرآن المكي والمدني، وكل ما يتعلق بذلك من ملابسات الأحوال.

- تعريفه بمعناه المراد واصطلاحات أهل العلم فيه:

فيه ثلاث اصطلاحات مبنية على اعتبارات مختلفة:

١- اعتبار زمن النزول: وهو القول المشهور، ويمتاز هذا القول بشمول تقسيمه جميع القرآن، ولا يخرج عنه شيء.

فالمكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بالمدينة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة، فما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة أو عرفة فهو مدني، كالذي نزل عام الفتح، كقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا} [النساء: ٥٨] أو نزل في حجة الوداع كقوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣].

٢- اعتبار المخاطب: أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة و المدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة؛ لأن الغالب على أهل مكة الكفر، فخطبوا ب: {يا أيها الناس}، وإن كان غيرهم داخل فيهم، وكان الغالب على أهل المدينة الإيمان، فخطبوا ب: {يا أيها الذين آمنوا} وإن كان غيرهم داخل فيهم.

أ- وهذا الضابط لا يطرد دائماً، لأن في سورة البقرة و النساء -وهما مدنيتان- خطاباً مكياً وهو: {يا أيها الناس}. والعكس كما في الحج.

ب- وهذا التقسيم غير حاصر فإن في القرآن ما نزل غير مصدر بيا أيها الناس ولا يا أيها الذين آمنوا.

ج- وهناك خطاب للنبي ﷺ مثل سورة الكوثر، فهذه تبقى حائرة لا ندري في أي القسمين؟

٣- اعتبار مكان النزول: أن المكي ما نزل على النبي ﷺ بمكة، والمدني ما نزل عليه بالمدينة.

ويدخل في مكة ضواحيها، منى وعرفات، والحديبية، ويدخل في المدينة أيضاً ضواحيها: بذر، وأحد، وسلع.

ويترتب على هذا الرأي عدم ثنائية القسمة، بل تثبت بمقتضاه الواسطة، فهناك من الآيات ما لم تنزل في مكة ولا في المدينة ولا في ضواحيهما، كالنازل ببنوك والجحفة (إن الذي فرض..).

ومنها ما نزل عليه بالأسفار -مثل سورة الأنفال، وسورة الفتح، وسورة الحج- فعلى هذا القول لا يطلق عليها مكي ولا مدني.

إذن الصحيح هو القول الأول؛ للأسباب التالية:

* - أن هذه الاصطلاح ضابط وحاصر ومطرد، إذ تنعدم فيه القول بالواسطة.

ب- أن هذا هو الذي يبدو من قصد الصحابة في المكي والمدني وذلك أنهم عدوا في المدني: سورة التوبة وسورة الفتح وسورة المنافقون. وسورة التوبة لم تنزل كاملة في المدينة بل كثير منها نزلت على الرسول ﷺ وهو في طريق عودته إلى تبوك.

وكذا نزلت سورة الفتح وهو عائد من صلح الحديبية. وكذا سورة المنافقون نزلت وهو في غزوة بني المصطلق.

ج- أن الاعتماد على هذا الاصطلاح يقضي على معظم الخلافات التي أثرت حول تحديد المكي والمدني.

د- أن هذا الاصطلاح هو الذي درج عليه كثير من الباحثين في علوم القرآن، وهو ترجيح ابن عطية، وابن كثير، والبقاعي، وذكر الزركشي والسيوطي أنه أشهر الأقوال.

واصطلاح الجمهور منطلقة زمني بحت، فلا محل للاعتراض بالمكان.

* - كيفية معرفة المكي والمدني:

١- منهج سماعي نقلي: يستند إلى الرواية الصحيحة عن الصحابة الذين عاصروا الوحي وشاهدوا نزوله، أو عن التابعين الذين تلقوا عن الصحابة وسمعوا منهم كيفية النزول ومواقفه وأحداثه. مثل: حديث عائشة رضي الله عنها حين قالت: (وما أنزلت سورة البقرة وآل عمران إلا وأنا عنده..). رواه البخاري.

٢- منهج قياسي اجتهادي: يستند إلى خصائص المكي وخصائص المدني، فإذا ورد في السورة المكية آية تحمل طابع التنزيل المدني أو تتضمن شيئاً من حوادثها قالوا: إنها مدنية، وإذا ورد في السورة المدنية آية تحمل طابع التنزيل المكي، أو تتضمن شيئاً من حوادثها قالوا: إنها مكية، وهذا قياسي اجتهادي، ولهذا نجدهم يقولون: كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية فهي مكية، وكل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية.

* أسباب الاختلاف في تعيين المكي والمدني:

عدم التنصيص من الرسول ﷺ على هذا الأمر. لماذا؟

قال الباقلاني: (لأنه لم يؤمر به، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة إلا بالقدر الذي يعرف به الناسخ والمنسوخ).

ولعل السبب الصحيح ما ذكره الزرقاني بأنه: (عدم حاجة المسلمين إلى هذا البيان كيف وهم يشاهدون التنزيل، ويشهدون أسبابه، ومكانه، وزمانه عياناً وليس بعد العيان بيان.. قال: ولعله أولى مما ذكره الباقلاني) ١٩٦/١.

٧- الاختلاف في تحديد مصطلح المكي والمدني.

١- توهم قطعية بعض الضوابط مع أن مبناها على الغالبية.

٢- الاعتماد على روايات ضعيفة مع وجود روايات صحيحة في نفس الموضوع.

متى نشأ علم المكي والمدني؟

المرحلة الأولى: نشأة علم المكي والمدني:

أ- عناية الصحابة فيه: نجد أعلام الهدي من الصحابة والتابعين يضبطون منازل القرآن آية آية ضبطاً يحدد الزمان والمكان وهذا الضبط عماد قوي في تاريخ التشريع، فنرى ابن مسعود رضي الله عنه يقول: (والله الذي لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله، تبلغه الإبل لركبت إليه).

ب- عناية التابعين: نجد أيضاً الأعلام من التابعين الذين أخذوا علمهم من الصحابة يعتنون بهذا العلم عناية تامة، كيف لا وهم تلاميذ صحابة رسول الله ، فهذا رجل يسأل عكرمة ' عن آية من القرآن، فيجيبه أنها نزلت في سفح ذلك الجبل وأشار إلى سلع.

المرحلة الثانية: التأليف في علم المكي والمدني:

عناية العلماء: اعتنى العلماء بتحقيق المكي والمدني عناية فائقة فتتبعوا القرآن آية آية وسورة سورة ترتيباً وفق نزولها حيث بذلوا جهداً كبيراً، وراعوا في ذلك الزمان والمكان والخطاب وهو تحديد دقيق يعطي صورة علمية في التحقيق لهذا العلم

- نزول القرآن للضحاك (ت: ١٠٤).
- تنزيل القرآن للزهري (ت: ١٢٤).
- المكي والمدني لمكي (ت: ٤٣٧).
- المكي والمدني للديريني (ت: ٦٩٤).
- رسالة ماجستير: المكي والمدني في القرآن الكريم دراسة تأصيلية نقدية من الفاتحة إلى الإسراء، لعبدالرزاق حسين أحمد، مطبوع مجلدين ١٤٢٠هـ دار ابن عفان.

٧ منزلة علم المكي والمدني:

من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة والمدينة.

قواعد في المكي والمدني:

- ١- القول في تفاصيل المكي والمدني موقوف على نقل من شاهدوا التنزيل، والنقل كما يكون عن النبي ﷺ يكون عن الصحابة كقول ابن مسعود وابن عمر وعائشة رضي الله عنهم.
- ٢- الأصل في السورة الكية أن تكون كل آياتها مكية والعكس إلا بدليل استثنائي صحيح، مثل قول ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: لقيت امرأة في بعض طرق المدينة فأصبت منها كل شيء دون الجماع قال: فنزلت: ﴿أقم الصلاة طرفي النهار...﴾ أخرجه البزار وأصله في الصحيحين.

والسور المدنية لا تكاد تجد فيها آية مكية مثل: ﴿وإذ يمكر بك الذين...﴾.

- ٣- المدني ينسخ المدني الذي نزل قبله، وينسخ المكي كذلك، ولا يجوز أن ينسخ المكي المدني. مثل: آيتا عدة الوفاة مدنيتان، تحريم الخمر ﴿تتخذون منه

سكراً..) مكية منسوخة بالمديني (فاجتنبوه)، ونسخ المكي بالمكي قليل جداً: مثل: (ومن الليل فاسجد) بقوله: (ومن الليل فتهدج به نافلة).

٤- قد يستمر نزول السورة فتنزل في أثناء مدة نزولها سورة أخرى، قال ابن عاشور: (فليس معنى قولهم: نزلت سورة كذا بعد سورة كذا مراداً منه أن المعودة نازلة بعد أخرى أنها ابتدئ نزولها بعد انتهاء نزول الأخرى، بل المراد أنها ابتدئ نزولها بعد ابتداء نزول التي سبقتها). مثل أول سورة البقرة من أول السور المدنية نزولاً وفيها آخر القرآن نزولاً.

ضوابط المكي ومميزاته:

الضوابط/ خصائص الألفاظ.

والمميزات/ خصائص الأسلوب والمعاني والأغراض للسور.

ضوابطه:

١- كل سورة فيها سجدة. يستثنى سورة الحج عند من يقول إنها مدنية، وفي الرعد خلاف.

٢- كل سورة فيها لفظ كلا. [٣٣ في ١٥ سورة كلها في النصف الأخير]، وقال الديري رحمه الله: وما نزلت كلا بيثرب فاعلمن ... ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى

٣- كل سورة فيها يا أيها الناس، وليس فيها يا أيها الذين آمنوا. سوى البقرة والنساء والحج.

٤- كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة.

٥- كل سورة فيها قصة آدم وإبليس ما عدا البقرة.

٦- كل سورة تفتح بحروف التهجي مثل: ألم، آلر، حم، ما عدا البقرة وآل عمران، وفي الرعد خلاف.

٧- كل سورة من المفصل، كما قال ابن مسعود عند الطبراني. لكن النصر مدنية اتفاقاً.

مميزاته:

الأسلوب:

١- قصر الآيات والسور، وكثرة الفواصل. اقرأ سورة الطور.

٢- كثرة أسلوب التأكيد، مثل: القسم، والأمثال.

٣- قوة العبارة وشدة العبارة. اقرأ المدثر والقمر.

الموضوعية:

١- الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله، وذكر القيامة والجنة والنار، ومجادلة المشركين. فالسور المكية تتضمن الدعوة لمن لا يقر بأصل الرسالة.

٢- يفضح أعمال المشركين من سفك دماء، وأكل أموال اليتامى، وواد البنات.

٣- الدعوة إلى أصول الأخلاق والتشريعات العامة التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان، كالصدقة، والبر، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، وإكرام الجار، والعدل، والإحسان ... إلخ.

٤- الإكثار من عرض قصص الأنبياء وتكذيب أقوامهم لهم للعبارة، والزجر،
وتسليية للرسول ﷺ.

قال الشاطبي: (وغالب المكي أنه مقرر لثلاثة معان: أصلها معنى واحد وهو
الدعاء إلى عبادة الله تعالى: أحدها/ تقرير الوجدانية لله الحق.. والثاني/ تقرير
النبوة للنبي ﷺ وأنه رسول الله إليهم جميعاً... والثالث/ إثبات أمر البعث والدار
الآخرة..). الموافقات ٤١٦/٣.

ضوابط المدني ومميزاته:
ضوابطه:

- ١- كل سورة فيها فريضة أو حدّ. (خطاب لمن يقر بأصل الرسالة).
- ٢- كل سورة فيها ذكر المنافقين ما عدا سورة العنكبوت. تأمل سورة التوبة.
- ٣- كل سورة فيها مجادلة أهل الكتاب.
- ٤- كل سورة تبدأ ب {يا أيها الذين آمنوا}. في المدينة خوطب هؤلاء وهؤلاء.
وليس ذلك في المكي.
- ٥- كل سورة فيها الأمر بالجهاد وبيان أحكامه.

مميزاته:

أولاً الأسلوبية:

- ١- طول المقاطع والآيات، وبسط الأحكام. اقرأ آية الدين.
 - ٢- الأسلوب الهادئ ولين الخطاب. اقرأ سورة المائدة.
 - ٣- والحجة الباهرة عندما يتعرض لأهل الكتاب، والأسلوب التهكمي عندما
يتعرض للمنافقين وفضحهم.
- ثانياً الموضوعية:

١- بيان جزئيات التشريع وتفاصيل الأحكام في العبادات والمعاملات،
والحدود، والجهاد، والسلم، والحرب، ونظام الأسرة، وقواعد الحكم، ووسائل
التشريع.

- ٢- مخاطبة أهل الكتاب ودعوتهم إلى الإسلام.
- ٣- الكشف عن سلوك المنافقين وبيان خطرهم على الدين.
ومن المهم أن نعلم أن هذه الخصائص أغلبية.
فالسور المدنية قد تتحدث عن العقيدة لكن لا يأخذ مثل مساحته في المكي لأنه
في المكي تأسيس وفي المدني تذكير.

من كتب التفسير التي اعتنى مؤلفوها بذكر المكي والمدني:

✓ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي.

✓ - زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي

✓ - تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير

- الدر المنثور في التفسير للسيوطي

- ومن المتأخرين: محاسن التأويل للقاسمي، والتحرير والتنوير لابن عاشور.

✓ - عدد السور المكية والسور المدنية والسور المختلف فيها:

١- السورة المكية: اثنان وثمانون.

٢- السورة المدنية: عشرون.

٣- السور المختلفة فيها: اثنا عشر.

أولاً/ السور المكية: اثنان وثمانون (٨٢).

وهي: الأنعام، الأعراف، يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر، النحل، الإسراء، الكهف، مريم، طه، الأنبياء، الحج، المؤمنون، الفرقان، الشعراء، النمل، القصص، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة، سبأ، فاطر، يس، الصافات، ص، الزمر، غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف، ق، الذاريات، الطور، النجم، القمر، الواقعة، الملك، القلم، الحاقة، المعارج، نوح، الجن، المزمل، المدثر، القيامة، الإنسان، المرسلات، النبأ، النازعات، عبس، التكوير، الانفطار، الانشقاق، البروج، الطارق، الأعلى، الغاشية، الفجر، البلد، الشمس، الليل، الضحى، الانشراح، التين، العلق، العاديات، القارعة، التكاثر، العصر، الهمزة، الفيل، قريش، الماعون، الكوثر، الكافرون، والمسد.

ثانياً/ السور المدنية: عشرون (٢٠).

وهي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنفال، التوبة، النور، الأحزاب، محمد، الفتح، الحجرات، الحديد، المجادلة، الحشر، الممتحنة، الجمعة، المنافقون، الطلاق، التحريم، والنصر.

ثالثاً/ السور المختلف فيها: اثنا عشر (١٢).

وهي: الفاتحة، الرعد، الرحمن، الصف، التغابن، المطففين، القدر، البينة، الزلزلة، الإخلاص، الفلق، والناس.

فوائد معرفة المكي والمدني:

١- يُعرف بالمكي والمدني الناسخ والمنسوخ، وهذا يترتب عليه كثير من المسائل الهامة في فهم النصوص، الذي كان من حكمة تربية القرآن في التشريع.

قال مكي: (ويجب أن تعلم أن المكي من السور من المدني، فذلك مما يقوي ويفهم معرفة الناسخ من المنسوخ).

٢- علم المكي والمدني يعين الدارس على معرفة تاريخ التشريع والوقوف على سنة الله الحكيمة في تشريعه، بتقديم الأصول على الفروع، وترسيخ الأسس الفكرية والنفسية، ثم بناء الأحكام والأوامر والنواهي عليها، مما كان له الأثر الكبير في تلقي الدعوة الإسلامية بالقبول، ومن ثم الإذعان لأحكامها.

٣- الاستعانة بهذا العلم في تفسير القرآن وفهم معانيه.

قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري في كتاب التنبيه على فضل علوم القرآن: (من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة والمدينة، وما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، وما يشبه نزول المكي في المدني، وما يشبه نزول المدني في المكي، وما نزل بالجحفة، وما نزل ببيت أهل المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحديبية، وما نزل ليلاً،

وما نزل نهاراً، وما نزل مشياً، وما نزل مفرداً، والآيات المدنيات في السور
المكية، والآيات المكيات في السور المدنية، وما حمل من مكة إلى المدينة، وما
حمل من المدينة إلى مكة، وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة، وما نزل
مجماً، وما نزل مفسراً، وما اختلفوا فيه فقال بعضهم مدني وبعضهم مكّي.
فهذه خمسة وعشرون وجهاً من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في
كتاب الله تعالى) انتهى. الإتيان ٧ / ١

- ٤- الوقوف على السيرة النبوية من خلال الآيات القرآنية، ومواقفه في الدعوة.
وفيه بحوث حول السيرة في القرآن مثل: (السيرة النبوية في القرآن)،
(شخصية الرسول ودعوته في القرآن)، (شخصية الرسول الأعظم قرآنيًا).
- ٥- تذوق أساليب القرآن والاستفادة منها في أسلوب الدعوة.
- ٦- الاطلاع على عناية المسلمين بالقرآن واهتمامهم به فلم يكتفوا بحفظه فقط.
- ٧- معرفة أسباب النزول.
- ٨- الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالمًا من التغيير والتحريف.
- ٩- تربية الدعاة وتوجيه المخاطبين بالترجح شيئاً فشيئاً؛ فيبدأ بالأهم فالمهم.

٣ / ٢

الوحدة السادسة

جمع القرآن وترتيبه

أ- يطلق الجمع على معنيين: *

المعنى الأول: جمعه بمعنى الحفظ في الصدور ، وهذا المعنى ورد في قوله تعالى: { لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ } [القيامة: ١٦ - ١٧]

المعنى الثاني: جمع القرآن بمعنى كتابته في السطور، أي الصحائف التي تضم السورة والآيات جميعها.

ب- مراحل الجمع

المرحلة الأولى: الجمع الأول في عهد الرسول ﷺ

حفظه في الصدور: حفظ النبي ﷺ للقرآن: كان النبي ﷺ يتلوا القرآن عن ظهر قلب لا يفتر لا سيما في الليل، حتى إنه ليقرأ في الركعة الواحدة العدد من السور الطوال.

ولزيادة التثبيت كان جبريل يعارضه بالقرآن كذلك.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان، لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن ...

وقال أبو هريرة: كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه ..

حفظ الصحابة للقرآن الكريم:

توفرت للصحابة العوامل التي تجعلهم قادرين على حفظ القرآن وتسهيل عليهم هذه المهمة ومن تلك العوامل:

١- قوة ذاكرتهم الفذة التي عرفوا بها واشتهروا، حتى كان الواحد منهم يحفظ القصيدة من الشعر بالسمعة الواحدة.

٢- نزول القرآن منجماً.

٣- لزوم قراءة شيء من القرآن في الصلاة.

٤- وجوب العمل بالقرآن، فقد كان هو ينبوع عقيدتهم وعبادتهم، ووعظهم وتذكيرهم.

٥- حض النبي ﷺ على قراءة القرآن، والترغيب بما أعد للقارىء من الثواب والأجر العظيم.

٦- تعاهد النبي ﷺ الصحابة بتعليم القرآن: فكان الصحابة تلامذة للنبي ﷺ يتعلمون منه القرآن، وكان النبي ﷺ شيخهم، يتعاهدهم بتعليم القرآن، فإذا أسلم أهل أفق أو قبيلة أرسل إليهم من القراء من يعلمهم القرآن، وإن كان في المدينة ضمه إلى حلق التعليم في جامعة القرآن النبوية.

حفظه في السطور:

وهو لون من الحفظ يدوم مع الزمان، لا يذهب بذهاب الإنسان، فلا بد أن يتحقق ما تكفل الله بحفظه { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر : ٩]

القول الرابع : أن أول ما نزل (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ويستند هذا القول إلى ما أخرجه الواحدي بسنده عن عكرمة والحسن قالا : أول ما نزل من القرآن (بسم الله الرحمن الرحيم) وأول سورة (سورة اقرأ ، وهذا الحديث مرسل أيضاً فليست له قوة الحديث الصحيح ، ويضاف إلى ذلك أن البسمة تجيء في أول كل سورة إلا ما استثنى ، ومعنى ذلك أنها نزلت صدرأ لسورة اقرأ ، ومما ذكرناه تعقيباً على الأقوال الثلاثة المتأخرة يترجح القول الأول وهو أن أول ما نزل صدر سورة (اقرأ) .

٢- آخر ما نزل : أما آخر ما نزل من القرآن ، ففيه أقوال كثيرة أصحها وأشهرها :-

١- قول الله تعالى في سورة البقرة ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ البقرة / ٢٨١ ، فقد أخرج النسائي وغيره عن ابن عباس رضي الله عنه أن هذه الآية آخر ما نزل من القرآن ، وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزولها تسع ليال .

٢- أن آخر ما نزل قوله تعالى ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ النساء / ١٧٦ ، وهي خاتمة سورة النساء .

٣- أن آخر ما نزل هو سورة النصر : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ النصر / ١

٤- أن آخر ما نزل سورة المائدة وفيها قول الله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ

وَأَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ المائدة / ٣ .

واصح ما يجاب به عن هذه الأقوال أنها أواخر نسيية : فأية الكلاله آخر ما نزل من الموارد ، وأن سورة المائدة آخر ما نزل في الحلال والحرام ، وقد اتفق العلماء على أن آية ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ نزلت يوم عرفة من حجة الوداع ، وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية فقال له صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر ؟ فقال : أبكاني أنا كُنَّا في زيادة من ديننا فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص ، قال : صدقت ، فكانت هذه الآية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما سورة النصر : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ فإنها آخر ما نزل مشعراً بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويؤيده ما روي من أنه صلى الله عليه وسلم قال حين نزلت : (نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي) ، وكذلك فهم بعض كبار الصحابة ، وأما آية ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ البقرة / ٢٨١ ، فهي آخر ما نزل مطلقاً على الأرجح ، ويؤيده ما روي أنه صلى الله عليه وسلم لم يمكث بعدها الا تسع ليال أو سبعة أيام ، ثم أنتقل إلى الرفيق الأعلى .

الوحدة الرابعة

أسباب النزول، وفوائدها، وطريقة معرفتها

تعريف سبب النزول:

عرفه السيوطي: (ما نزلت الآية أيام وقوعه)

وعرفه الزرقاني: (ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه) وهذا أتم.

لا يلزم كون النزول بعده مباشرة، بل بعد زمن يسير، حادثة الإفك نزلت بعدها بشهر، وقصة أصحاب الكهف وذي القرنين بعد ١٥ يوم.

أهمية علم سبب النزول:

علم أسباب النزول من علوم القرآن المهمة التي اعتنى بها علماء المسلمين قديماً وحديثاً، وقد دلَّ على مدى اهتمامهم بهذا العلم: كثرة الجهود المبذولة في سبيل تدوينه، وإفرادهم له بالعديد من المؤلفات الخاصة.

من أشهر من ألف فيه:

١- علي بن المديني شيخ البخاري (ت: ٢٣٤)، ذكر أحمد صقر أنه لم يصل إلينا.

٢- أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت: ٤٦٨) كتابه: أسباب النزول، حقق عدة مرات أحمد صقر، وأيمن صالح شعبان، وكمال بسيوني، وعصام الحميدان في رسالة ماجستير.

٣- برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري (ت: ٧٣٢) الذي اختصر كتاب الواحدي بحذف أسانيده ولم يزد عليه شيئاً. حققته الطالبة خلود الجعفري في كلية الآداب للبنات في الدمام.

٤- أبو الفضل شهاب الدين الحافظ ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢) في كتابه: العجائب في بيان الأسباب، صدر بتحقيق الأستاذ عبدالحكيم محمد الأنيس إلى آية ٧٨ من سورة النساء.

٥- جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت: ٩١١) في كتابه: لباب النقول في أسباب النزول.

٦- مقبل بن هادي الوادعي كتابه: الصحيح المسند من أسباب النزول.

ب/ عقدوا له باباً مستقلاً في علوم القرآن.

ج/ أول ما يورده المفسرون للآية.

ولا يعني الاهتمام بأسباب النزول أن نلتمس لكل آية سبباً.

فالقرآن من جهة النزول قسمان:

ما نزل ابتداء ولا يتوقف على سبب وهو الأكثر؛ لأن القرآن أنزله الله هداية للبشرية جمعاء فهو الذي يعلم ما يحقق نفعهم ومصالحهم.

ما ينزل بشأن حادثة مخصوصة مثل/ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، عن ابن

عباس قال: لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. خرج

النبي ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف: يا صباحاه، فاجتمعوا إليه فقال: "أرأيتمكم لو

أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟.. " الحديث ، فقال أبو لهب تبا لك، إنما جمعنا لهذا، ثم قام، فنزل قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١].

فائدة: ﴿يسألونك﴾ في القرآن ثلاثة عشر مرة؛ وقد يكون السؤال: عن أمر مضى ﴿عن ذي القرنين﴾ أو عن أمر حاضر ﴿عن الروح﴾ أو يتصل بأمر مستقبل ﴿عن الساعة﴾.

طرق معرفة سبب النزول:

تحدث العلماء عن الطرق التي تثبت بها أسباب النزول، وحصروها في: النقل عن الرسول ﷺ.

أخبار وروايات الصحابة ، الذين شاهدوا الوحي وعاصروا نزوله، وعاشوا الوقائع والحوادث وظروفها. ولهذا قال الإمام الواحدي: ولا يحل القول في أسباب النزول إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها.

وقد اتفق علماء الحديث على اعتبار قول الصحابي في سبب النزول لأن أسباب النزول غير خاضعة للاجتهاد فيكون قول الصحابي حكمه الرفع، خاصة قوله الصريح في النزول: (نزلت هذه الآية في كذا) كما قال الحاكم وابن الصلاح.

وإذا كان السبب غير صريح فلم يدخله بعض العلماء في المرفوع (كالإمام أحمد ومسلم).

قول التابعي كذلك له حكم المرفوع إلا أنه مرسل، فقد يقبل إذا صح السند إليه، وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة، كمجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، أو اعتضد بمرسل آخر.

والخلاصة: أن الطريق لمعرفة سبب النزول النقل الصريح عن النبي ﷺ، وما صح عن الصحابة، وكذا الأخبار التي نقلها التابعون، الذين تلقوا العلم عن الصحابة، تعتبر مرجعاً مهماً في معرفة أسباب النزول. وكان من هدي السلف الصالح رضي الله عنهم التحرز عن القول في أسباب النزول من غير خبر صريح أو علم صحيح.

صيغة السبب:

١- تكون نصاً صريحاً في السببية إذا صرح الراوي بالسبب بأن يقول: سبب نزول هذه الآية كذا، أو يأتي الراوي بفاء التعقيب بعد ذكر الحادثة، بأن يقول: سئل رسول الله ﷺ عن كذا، فنزلت الآية.

٢- تكون محتملة للسببية إذا قال الراوي: أحسب هذه الآية نزلت في كذا، أو ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في كذا، مثال ذلك ما حدث للزبير والأنصاري ونزاعهما في سقي الماء، وتشاكيا إلى رسول الله ﷺ ونفذ فيهما حكم الله، فكان الأنصاري لم يعجبه هذه الحكم، فنزل قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُعَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]. فقال الزبير ما أحسب هذه الآية إلا في ذلك.

فينبغي الحذر والتيقظ، فلا نخلط بأسباب النزول ما ليس منها، فقد يقع على لسانهم قولهم: نزلت هذا الآية في كذا ويكون المراد موضوع الآية، أو ما دلت عليه من الحكم.

أما عن حكمة وفوائد هذا العلم - كما ذكرها العلماء - فهي كثيرة، منها: /
١. معرفة وجه ما ينطوي عليه تشريع الحكم على التعيين لما فيه نفع المؤمنين وغير المؤمنين، فالمؤمن يزداد إيماناً على إيمانه لما شاهده وعرف سبب نزوله، والكافر إن كان منصفاً يبهره صدق هذه الرسالة الإلهية فيكون سبباً لإسلامه، لأن ما نزل بسبب من الأسباب إنما يدل على عظمة المنزل وصدق المنزل عليه.

٢. أن معرفة أسباب النزول تُعين القارئ لكتاب الله على فهمه فهماً صحيحاً سليماً، وذلك أن العلم بالسبب يُورث العلم بالمسبب. ولنمثل لذلك بمثال، وهو قوله تعالى: {وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها} (البقرة: ١٨٩) فهذه الآية لا يستقيم فهمها فهماً صحيحاً إلا في ضوء معرفة سبب نزولها، وقد جاء في سبب نزولها، ما رواه البخاري من حديث البراء - أنه قال: (كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره، فأنزل الله {وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها} فالمراد من الآية على ضوء سبب نزولها ليس مجرد الأمر بالدخول من الأبواب على حقيقته، بل المراد منها الأمر بالتزام أوامر الله ونواهيه، وطاعته على وفق ما أمر وشرع. وأمثلة هذا كثير في القرآن.

٣. الاستعانة على إزالة الإشكال عن الآية، لما هو معلوم من الارتباط بين السبب والمسبب. قال الواحدي: لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها.

قال ابن دقيق العيد: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن. وقال بعض العلماء: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب.

وقد أشكل على بعضهم قوله تعالى: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا...} [آل عمران: ١٨٨].

وقال: لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً، لنعذبن أجمعون، حتى بين له ابن عباس أن الآية نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي ﷺ عن شيء، فكنموه إياه، وأخبروه بغيره، وأزوه أنهم أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه.

٤. تُيسر حفظ كتاب الله وتثبت معناه، لأن ربط الأحكام بالحوادث والأشخاص والأزمنة والأمكنة يساعد على استقرار المعلومة وتركيزها.

٥. إنه يمكن من معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومن المعلوم أن هناك من الآيات ما يصعب فهم المراد منها، ويقع الخطأ في تفسيرها في حال الجهل بأسباب نزولها.

٦. دخول من نزلت الآية فيه دخولاً أولاً فيما إذا كان اللفظ عاماً.

٧. دفع توهم الحصر، قال الإمام الشافعي ما معناه في قوله تعالى: {قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا...} [الأنعام: ١٤٥]: إن الكفار لما حرموا ما أحل الله، وأحلوا ما حرم الله، وكانوا على المضادة - أي تصرفهم بقصد المخالفة - جاءت الآية مناقضة لغرضهم فكأنه قال: لا حلال إلا ما حرمتوه، ولا حرام إلا ما أحلتموه.

٨. معرفة اسم النازل فيه الآية، وتعيين المبهم فيه، وبيان فضله ونفي التهمة عنه كما في حادثة الإفك.

٩. تخصيص الحكم السبب عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ، فعند هؤلاء ما لم يعرف السبب لا يمكن معرفة المقصود بالحكم، ولا القياس عليه، وتبقى الآية معطلة خالية من الفائدة.

من هنا كان من الأهمية بمكان - لقارئ كتاب الله عامة وللمفسر خاصة - أن يكون على علم ودراية بأسباب النزول؛ ليكون على بصيرة من كتاب ربه، فيفهمه فهماً صحيحاً سليماً، أما إذا لم يكن على معرفة وبينه من تلك الأسباب فربما فهمه على غير ما قصد منه، فيكون قد أخطأ من حيث أراد الصواب. ومن المفيد هنا الإشارة إلى أن العلماء قرروا قاعدة متعلقة بأسباب النزول: مفادها أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وتعني هذه القاعدة باختصار، أن النص الشرعي إذا ورد بسبب واقعة معينة حصلت في عصر التنزيل، فإن الحكم لا يكون مقتصراً على تلك الواقعة فحسب، وإنما يكون حكماً عاماً في كل ما شابهها من وقائع ونوازل، وذلك أن أحكام القرآن - من حيث الأصل - هي أحكام عامة لكل زمان ومكان، وليست أحكاماً خاصة بأفراد معينين.

ولتوضيح هذه المسألة نذكر مثلاً يكشف المقصود منها:

فقد أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه، أن هلال بن أمية قذف امرأته بـ شريك بن سحماء، فقال له رسول الله ﷺ: (البينة أو حدٌّ في ظهرك) فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا مع امرأته رجلاً، ينطلق يلتمس البينة، فأنزل الله تعالى: {والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين} (النور: ٦).

فهذه الآية سبب نزولها خاص، وهو هذه الحادثة، إلا أن حكم اللعان الذي جاءت به حكم عام، حُوطب به جميع المسلمين، ومن هنا قال أهل العلم: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

نختم بمسألتين:

مسألة تعدد الأسباب والمُنزَّل واحد:

وذلك بأن تقع عدة وقائع في أزمنة متقاربة، فتنزل الآية لأجلها كلها، وذلك واقع في مواضع متعددة من القرآن.

والعمدة في ذلك على صحة الروايات، فإذا صحت الروايات بعدة أسباب ولم يكن ثمة ما يدل على تباعدها كان ذلك دليلاً على أن الكل سبب لنزول الآية والآيات.

مثال ذلك: آيات اللعان: فقد أخرج البخاري: أنها نزلت في هلال بن أمية لما قذف امرأته عند النبي ﷺ، فأنزل الله: {وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ ..} [النور: ٦].

وفي الصحيحين: أنها نزلت في عويمر العجلاني وسؤاله النبي ﷺ عن الرجل يجد مع امرأته رجلاً... فقال ﷺ: "إنه قد أنزل فيك وفي صاحبك القرآن". وظاهر الحديثين الاختلاف، وكلاهما صحيح.

فأجاب الإمام النووي: بأن أول من وقع له ذلك هلال، وصادف مجيء عويمر أيضاً، فنزلت في شأنهما معاً.

مسألة تعدد النزول مع وحدة السبب:

١- قد يتعدد ما ينزل والسبب واحد ومن ذلك ما روي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء، فأنزل الله {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ} [آل عمران: ١٩٥].

٢- عن أم سلمة قالت: يا رسول الله ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال، فأنزلت: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ} [الأحزاب: ٣٥].

٣- عن أم سلمة أنها قالت: تغزوا الرجال ولا تغزوا النساء، وإنما لنا نصف الميراث، فأنزل الله: {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَتَبْنَا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَتَبْنَا} [النساء: ٣٢].

الوحدة الخامسة

المكي والمدني

تعريف المكي والمدني المركب تركيباً عطفياً.

لغة: نسبة إلى مكة والمدينة.

واصطلاحاً: هو علم يبحث منازل القرآن المكي والمدني، وكل ما يتعلق بذلك من ملابسات الأحوال.

- تعريفه بمعناه المراد واصطلاحات أهل العلم فيه:

فيه ثلاث اصطلاحات مبنية على اعتبارات مختلفة:

١- اعتبار زمن النزول: وهو القول المشهور، ويمتاز هذا القول بشمول تقسيمه جميع القرآن، ولا يخرج عنه شيء.

فالمكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بالمدينة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة، فما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة أو عرفة فهو مدني، كالذي نزل عام الفتح، كقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا} [النساء: ٥٨] أو نزل في حجة الوداع كقوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣].

٢- اعتبار المخاطب: أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة و المدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة؛ لأن الغالب على أهل مكة الكفر، فخطبوا ب: {يا أيها الناس}، وإن كان غيرهم داخلاً فيه، وكان الغالب على أهل المدينة الإيمان، فخطبوا ب: {يا أيها الذين آمنوا} وإن كان غيرهم داخلاً فيه.

أ- وهذا الضابط لا يطرد دائماً، لأن في سورة البقرة و النساء -وهما مدنيتان- خطاباً مكياً وهو: {يا أيها الناس}. والعكس كما في الحج.

ب- وهذا التقسيم غير حاصر فإن في القرآن ما نزل غير مصدر بيا أيها الناس ولا يا أيها الذين آمنوا.

ج- وهناك خطاب للنبي ﷺ مثل سورة الكوثر، فهذه تبقى حائرة لا ندري في أي القسمين؟

٣- اعتبار مكان النزول: أن المكي ما نزل على النبي ﷺ بمكة، والمدني ما نزل عليه بالمدينة.

ويدخل في مكة ضواحيها، منى وعرفات، والحُدَيْبِيَّة، ويدخل في المدينة أيضاً ضواحيها: بَدْر، وأُحُد، وسَلْع.

ويترتب على هذا الرأي عدم ثنائية القسمة، بل تثبت بمقتضاه الوساطة، فهناك من الآيات ما لم تنزل في مكة ولا في المدينة ولا في ضواحيهما، كالنازل بَبْنُوك والجحفة (إن الذي فرض..).

ومنهما ما نزل عليه بالأسفار -مثل سورة الأنفال، وسورة الفتح، وسورة الحج-

فعلى هذا القول لا يطلق عليها مكي ولا مدني.

* - إذن الصحيح هو القول الأول؛ للأسباب التالية:

أ- أن هذه الاصطلاح ضابط وحاصر ومطرد، إذ تنعدم فيه القول بالوساطة.

ب- أن هذا هو الذي يبدو من قصد الصحابة في المكي والمدني وذلك أنهم عدوا في المدني: سورة التوبة وسورة الفتح وسورة المنافقون. وسورة التوبة لم تنزل كاملة في المدينة بل كثير منها نزلت على الرسول ﷺ وهو في طريق عودته إلى تبوك.

وكذا نزلت سورة الفتح وهو عائد من صلح الحديبية. وكذا سورة المنافقون نزلت وهو في غزوة بني المصطلق.

ج- أن الاعتماد على هذا الاصطلاح يقضي على معظم الخلافات التي أثرت حول تحديد المكي والمدني.

د- أن هذا الاصطلاح هو الذي درج عليه كثير من الباحثين في علوم القرآن، وهو ترجيح ابن عطية، وابن كثير، والبقاعي، وذكر الزركشي والسيوطي أنه أشهر الأقوال.

واصطلاح الجمهور منطلقاً زمنياً بحت، فلا محل للاعتراض بالمكان.

* - كيفية معرفة المكي والمدني:

١- منهج سماعي نقلي: يستند إلى الرواية الصحيحة عن الصحابة الذين عاصروا الوحي وشاهدوا نزوله، أو عن التابعين الذين تلقوا عن الصحابة وسمعوا منهم كيفية النزول ومواقفه وأحداثه. مثل: حديث عائشة رضي الله عنها حين قالت: (وما أنزلت سورة البقرة وآل عمران إلا وأنا عنده..) رواه البخاري.

٢- منهج قياسي اجتهادي: يستند إلى خصائص المكي وخصائص المدني، فإذا ورد في السورة المكية آية تحمل طابع التنزيل المدني أو تتضمن شيئاً من حوادثه قالوا: إنها مدنية، وإذا ورد في السورة المدنية آية تحمل طابع التنزيل المكي، أو تتضمن شيئاً من حوادثه قالوا: إنها مكية، وهذا قياسي اجتهادي، ولهذا نجدهم يقولون: كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية فهي مكية، وكل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية.

* أسباب الاختلاف في تعيين المكي والمدني:

عدم التنصيص من الرسول ﷺ على هذا الأمر. لماذا؟

قال الباقلاني: (لأنه لم يؤمر به، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة إلا بالقدر الذي يعرف به الناسخ والمنسوخ).

ولعل السبب الصحيح ما ذكره الزرقاني بأنه: (عدم حاجة المسلمين إلى هذا البيان كيف وهم يشاهدون التنزيل، ويشهدون أسبابه، ومكانه، وزمانه عياناً وليس بعد العيان بيان.. قال: ولعله أولى مما ذكره الباقلاني) ١٩٦/١.

٧- الاختلاف في تحديد مصطلح المكي والمدني.

١- توهم قطعية بعض الضوابط مع أن مبناها على الغالبية.

٢- الاعتماد على روايات ضعيفة مع وجود روايات صحيحة في نفس الموضوع.

متى نشأ علم المكي والمدني؟

المرحلة الأولى: نشأة علم المكي والمدني:

أ- عناية الصحابة فيه: نجد أعلام الهدي من الصحابة والتابعين يضبطون منازل القرآن آية آية ضبطاً يحدد الزمان والمكان وهذا الضبط عماد قوي في تاريخ التشريع، فنرى ابن مسعود رضي الله عنه يقول: (والله الذي لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله، تبلغه الإبل لركبت إليه).

ب- عناية التابعين: نجد أيضاً الأعلام من التابعين الذين أخذوا علمهم من الصحابة يعتنون بهذا العلم عناية تامة، كيف لا وهم تلاميذ صحابة رسول الله ، فهذا رجل يسأل عكرمة ' عن آية من القرآن، فيجيبه أنها نزلت في سفح ذلك الجبل وأشار إلى سلع.

المرحلة الثانية: التأليف في علم المكي والمدني:

عناية العلماء: اعتنى العلماء بتحقيق المكي والمدني عناية فائقة فتنبعوا القرآن آية آية وسورة سورة ترتيباً وفق نزولها حيث بذلوا جهداً كبيراً، وراعوا في ذلك الزمان والمكان والخطاب وهو تحديد دقيق يعطي صورة علمية في التحقيق لهذا العلم.

- نزول القرآن للضحك (ت: ١٠٤).
- تنزيل القرآن للزهري (ت: ١٢٤).
- المكي والمدني لمكي (ت: ٤٣٧).
- المكي والمدني للديريني (ت: ٦٩٤).
- رسالة ماجستير: المكي والمدني في القرآن الكريم دراسة تأصيلية نقدية من الفاتحة إلى الإسراء، لعبدالرزاق حسين أحمد، مطبوع مجلدين ١٤٢٠ هـ دار ابن عфан.

× منزلة علم المكي والمدني:

من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة والمدينة.

قواعد في المكي والمدني:

١- القول في تفاصيل المكي والمدني موقوف على نقل من شاهدوا التنزيل، والنقل كما يكون عن النبي ﷺ يكون عن الصحابة كقول ابن مسعود وابن عمر وعائشة رضي الله عنهم.

٢- الأصل في السورة الكية أن تكون كل آياتها مكية والعكس إلا بدليل استثنائي صحيح، مثل قول ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: لقيت امرأة في بعض طرق المدينة فأصبت منها كل شيء دون الجماع قال: فنزلت: ﴿أقم الصلاة طرفي النهار...﴾ أخرجه البزار وأصله في الصحيحين.

والسور المدنية لا تكاد تجد فيها آية مكية مثل: ﴿وإذ يمكر بك الذين...﴾.

٣- المدني ينسخ المدني الذي نزل قبله، وينسخ المكي كذلك، ولا يجوز أن ينسخ المكي المدني. مثل: آيتا عدة الوفاة مدينتان، تحريم الخمر (تتخذون منه

سكراً..) مكية منسوخة بالمدني (فاجتنبوه)، ونسخ المكي بالمكي قليل جداً:
مثل: (ومن الليل فاسجد) بقوله: (ومن الليل فتهجد به نافلة).

٤- قد يستمر نزول السورة فتتزل في أثناء مدة نزولها سورة أخرى، قال ابن
عاشور: (فليس معنى قولهم: نزلت سورة كذا بعد سورة كذا مراداً منه أن
المعدودة نازلة بعد أخرى أنها ابتدئ نزولها بعد انتهاء نزول الأخرى، بل
المراد أنها ابتدئ نزولها بعد ابتداء نزول التي سبقتها). مثل أول سورة البقرة
من أول السور المدنية نزولاً وفيها آخر القرآن نزولاً.

ضوابط المكي ومميزاته:

الضوابط/ خصائص الألفاظ.

والمميزات/ خصائص الأسلوب والمعاني والأغراض للسور.
ضوابطه:

١- كل سورة فيها سجدة. يستثنى سورة الحج عند من يقول إنها مدنية، وفي
الرعد خلاف.

٢- كل سورة فيها لفظ كلا. [٣٣ في ١٥ سورة كلها في النصف الأخير]، وقال
الديريني رحمه الله: وما نزلت كلا بيثرب فاعلمن ... ولم تأت في القرآن في
نصفه الأعلى

٣- كل سورة فيها يا أيها الناس، وليس فيها يا أيها الذين آمنوا. سوى البقرة
والنساء والحج.

٤- كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة.

٥- كل سورة فيها قصة آدم وإبليس ما عدا البقرة.

٦- كل سورة تفتح بحروف التهجي مثل: ألم، آلر، حم، ما عدا البقرة وآل
عمران، وفي الرعد خلاف.

٧- كل سورة من المفصل، كما قال ابن مسعود عند الطبراني. لكن النصر
مدنية اتفاقاً.

مميزاته:

الأسلوب:

١- قصر الآيات والسور، وكثرة الفواصل. اقرأ سورة الطور.

٢- كثرة أسلوب التأكيد، مثل: القسم، والأمثال.

٣- قوة العبارة وشدة العبارة. اقرأ المدثر والقمر.

الموضوعية:

١- الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله، وذكر القيامة والجنة والنار، ومجادلة
المشركين. فالسور المكية تتضمن الدعوة لمن لا يقر بأصل الرسالة.

٢- يفضح أعمال المشركين من سفك دماء، وأكل أموال اليتامى، ووأد البنات.

٣- الدعوة إلى أصول الأخلاق والتشريعات العامة التي لا تتغير بتغير الزمان
والمكان، كالصدقة، والبر، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، وإكرام الجار،
والعدل، والإحسان ... إلخ.

٤- الإكثار من عرض قصص الأنبياء وتكذيب أقوامهم لهم للعبرة، والزجر،
وتسليّة للرسول ﷺ.

قال الشاطبي: (وغالب المكي أنه مقرر لثلاثة معان: أصلها معنى واحد وهو
الدعاء إلى عبادة الله تعالى: أحدها/ تقرير الوجدانية لله الحق.. والثاني/ تقرير
النبوة للنبي ﷺ وأنه رسول الله إليهم جميعاً... والثالث/ إثبات أمر البعث والدار
الآخرة..). الموافقات ٤١٦/٣.

ضوابط المدني ومميزاته:
ضوابطه:

الحق
صا
١٤٤

- ١- كل سورة فيها فريضة أو حدّ. (خطاب لمن يقر بأصل الرسالة).
- ٢- كل سورة فيها ذكر المنافقين ما عدا سورة العنكبوت. تأمل سورة التوبة.
- ٣- كل سورة فيها مجادلة أهل الكتاب.
- ٤- كل سورة تبدأ ب {يا أيها الذين آمنوا}. في المدينة خوطب هؤلاء وهؤلاء.
وليس ذلك في المكي.
- ٥- كل سورة فيها الأمر بالجهاد وبيان أحكامه.

مميزاته:

أولاً الأسلوبية:

- ١- طول المقاطع والآيات، وبسط الأحكام. اقرأ آية الدين.
- ٢- الأسلوب الهادئ ولين الخطاب. اقرأ سورة المائدة.
- ٣- والحجة الباهرة عندما يتعرض لأهل الكتاب، والأسلوب التهكمي عندما
يتعرض للمنافقين وفضحهم.
ثانياً الموضوعية:

١- بيان جزئيات التشريع وتفاصيل الأحكام في العبادات والمعاملات،
والحدود، والجهاد، والسلم، والحرب، ونظام الأسرة، وقواعد الحكم، ووسائل
التشريع.

- ٢- مخاطبة أهل الكتاب ودعوتهم إلى الإسلام.
- ٣- الكشف عن سلوك المنافقين وبيان خطرهم على الدين.
ومن المهم أن نعلم أن هذه الخصائص أغلبية.
فالسور المدنية قد تتحدث عن العقيدة لكن لا يأخذ مثل مساحته في المكي لأنه
في المكي تأسيس وفي المدني تذكير.

من كتب التفسير التي اعتنى مؤلفوها بذكر المكي والمدني:

✓ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي.

✓ - زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي

✓ - تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير

- الدر المنثور في التفسير للسيوطي

- ومن المتأخرين: محاسن التأويل للقاسمي، والتحرير والتنوير لابن عاشور.

- عدد السور المكية والسور المدنية والسور المختلف فيها:

١- السورة المكية: اثنان وثمانون.

٢- السورة المدنية: عشرون.

٣- السور المختلفة فيها: اثنا عشر.

وأولاً السور المكية: اثنان وثمانون (٨٢).

وهي: الأنعام، الأعراف، يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر، النحل، الإسراء، الكهف، مريم، طه، الأنبياء، الحج، المؤمنون، الفرقان، الشعراء، النمل، القصص، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة، سبأ، فاطر، يس، الصافات، ص، الزمر، غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف، ق، الذاريات، الطور، النجم، القمر، الواقعة، الملك، القلم، الحاقة، المعارج، نوح، الجن، المزمّل، المدثر، القيامة، الإنسان، المرسلات، النبأ، النازعات، عبس، التكوير، الانفطار، الانشقاق، البروج، الطارق، الأعلى، الغاشية، الفجر، البلد، الشمس، الليل، الضحى، الانشراح، التين، العلق، العاديات، القارعة، التكاثر، العصر، الهمزة، الفيل، قريش، الماعون، الكوثر، الكافرون، والمسد.

ثانياً السور المدنية: عشرون (٢٠).

وهي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنفال، التوبة، النور، الأحزاب، محمد، الفتح، الحجرات، الحديد، المجادلة، الحشر، الممتحنة، الجمعة، المنافقون، الطلاق، التحريم، والنصر.

ثالثاً السور المختلف فيها: اثنا عشر (١٢).

وهي: الفاتحة، الرعد، الرحمن، الصف، التغابن، المطففين، القدر، البينة، الزلزلة، الإخلاص، الفلق، والناس.

فوائد معرفة المكي والمدني:

١- يُعرف بالمكي والمدني الناسخ والمنسوخ، وهذا يترتب عليه كثير من المسائل الهامة في فهم النصوص، الذي كان من حكمة تربية القرآن في التشريع.

قال مكي: (ويجب أن تعلم أن المكي من السور من المدني، فذلك مما يقوي ويفهم معرفة الناسخ من المنسوخ).

٢- علم المكي والمدني يعين الدارس على معرفة تاريخ التشريع والوقوف على سُنّة الله الحكيمة في تشريعه، بتقديم الأصول على الفروع، وترسيخ الأسس الفكرية والنفسية، ثم بناء الأحكام والأوامر والنواهي عليها، مما كان له الأثر الكبير في تلقي الدعوة الإسلامية بالقبول، ومن ثم الإذعان لأحكامها.

٣- الاستعانة بهذا العلم في تفسير القرآن وفهم معانيه.

قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري في كتاب التنبيه على فضل علوم القرآن: (من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة والمدينة، وما نزل بمكة ومدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، وما يشبه نزول المكي في المدني، وما يشبه نزول المدني في المكي، وما نزل بالجحفة، وما نزل ببيت أهل المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحديبية، وما نزل ليلاً،

وما نزل نهاراً، وما نزل مشيعاً، وما نزل مفرداً، والآيات المدنيات في السور
المكية، والآيات المكيات في السور المدنية، وما حمل من مكة إلى المدينة، وما
حمل من المدينة إلى مكة، وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة، وما نزل
مجماً، وما نزل مفسراً، وما اختلفوا فيه فقال بعضهم مدني وبعضهم مكّي.
فهذه خمسة وعشرون وجهاً من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في
كتاب الله تعالى) انتهى. الإتقان ٧ / ١

- ٤- الوقوف على السيرة النبوية من خلال الآيات القرآنية، ومواقفه في الدعوة.
وفيه بحوث حول السيرة في القرآن مثل: (السيرة النبوية في القرآن)،
(شخصية الرسول ودعوته في القرآن)، (شخصية الرسول الأعظم قرآنيًا).
- ٥- تذوق أساليب القرآن والاستفادة منها في أسلوب الدعوة.
- ٦- الاطلاع على عناية المسلمين بالقرآن واهتمامهم به فلم يكتفوا بحفظه فقط.
- ٧- معرفة أسباب النزول.
- ٨- الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالمًا من التغيير والتحريف.
- ٩- تربية الدعاة وتوجيه المخاطبين بالتدرج شيئاً فشيئاً؛ فيبدأ بالأهم فالمهم.

٣ / ٢

الوحدة السادسة

جمع القرآن وترتيبه

أ- يطلق الجمع على معنيين: ١

المعنى الأول: جمعه بمعنى الحفظ في الصدور ، وهذا المعنى ورد في قوله تعالى: { لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ } [القيامة: ١٦ - ١٧]

المعنى الثاني: جمع القرآن بمعنى كتابته في السطور، أي الصحائف التي تضم السورة والآيات جميعها.

ب- مراحل الجمع

المرحلة الأولى: الجمع الأول في عهد الرسول ﷺ

حفظه في الصدور: حفظ النبي ﷺ للقرآن: كان النبي ﷺ يتلوا القرآن عن ظهر قلب لا يفتقر لا سيما في الليل، حتى إنه ليقرأ في الركعة الواحدة العدد من السور الطوال.

ولزيادة التثبيت كان جبريل يعارضه بالقرآن كذلك.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان، لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن ...

وقال أبو هريرة: كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه..

حفظ الصحابة للقرآن الكريم:

توفرت للصحابة العوامل التي تجعلهم قادرين على حفظ القرآن وتسهيل عليهم هذه المهمة ومن تلك العوامل:

١- قوة ذاكرتهم الفذة التي عرفوا بها واشتهروا، حتى كان الواحد منهم يحفظ القصيدة من الشعر بالسمعة الواحدة.

٢- نزول القرآن منجماً.

٣- لزوم قراءة شيء من القرآن في الصلاة.

٤- وجوب العمل بالقرآن، فقد كان هو ينبوع عقيدتهم وعبادتهم، ووعظهم وتذكيرهم.

٥- حض النبي ﷺ على قراءة القرآن، والترغيب بما أعد للقارىء من الثواب والأجر العظيم.

٦- تعاهد النبي ﷺ الصحابة بتعليم القرآن: فكان الصحابة تلامذة للنبي ﷺ يتعلمون منه القرآن، وكان النبي ﷺ شيخهم، يتعاهدهم بتعليم القرآن، فإذا أسلم أهل أفق أو قبيلة أرسل إليهم من القراء من يعلمهم القرآن، وإن كان في المدينة ضمه إلى حلق التعليم في جامعة القرآن النبوية.

حفظه في السطور:

وهو لون من الحفظ يدوم مع الزمان، لا يذهب بذهاب الإنسان، فلا بد أن يتحقق ما تكفل الله بحفظه {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر : ٩]

لقد اعتنى النبي ﷺ بكتابة القرآن عناية بالغة جداً، فكان كلما نزل عليه شيء منه دعا الكُتَّاب - ومنهم: علي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، رضي الله عنهم - فأملأه عليهم، فكتبوه على ما يجدونه من أدوات الكتابة حينئذ مثل:

الرقاع، اللخاف، والأكتاف، والعسب . وقد حصر النبي ﷺ جهد هؤلاء الكتاب في كتابة القرآن فمنع من كتابة غيره إلا في ظروف خاصة أو لبعض أناس مخصوصين.

فتحقّق بذلك توفر طاقة كبيرة لكتابة القرآن وترتيبه، كما أخرج الحاكم عن أنس رضي الله عنه: كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن في الرّقاع... ومقصود هذا الحديث فيما يظهر أن المراد به تأليف ما نزل من الآيات المفارقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبي ﷺ.

المرحلة الثانية: الجمع الثاني في عهد أبي بكر رضي الله عنه. عن زيد بن ثابت قال: أرسل إليّ أبو بكر، مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني، فقال: إن القتل قد استحر بقراء القرآن، وإنني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإنني أرى أن تأمر بجمع القرآن، فقلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هو والله خير، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك شاب عاقل، لا تهملك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فنتبّع القرآن فأجمعه - فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن- قلت كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟! قال: والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح به صدر أبي بكر وعمر.

فنتبعت القرآن أجمعه من العُسب و اللّخاف و صدور الرجال، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، ولم أجدّها مع غيره: {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ...} [التوبة: ١٢٨ - ١٢٩]. حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم.

وبهذا جمعت نسخة المصحف بأدق توثق ومحافظة، وأودعت لدى الخليفة لتكون إماماً تواجه الأمة به ما يحدث في المستقبل، ولم يبق الأمر موكلاً إلى النسخ التي بين أيدي كُتَّاب الوحي، أو إلى حفظ الحفاظ وحدهم.

وقد اعتمد الصحابة كلهم وبالإجماع القطعي هذا العمل وهذا المصحف الذي جمعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وتتابع عليه الخلفاء الراشدون كلهم والمسلمون من بعده، وسجلوها لأبي بكر الصديق منقبة فاضلة عظيمة من مناقبه وفضائله. وحسبنا في ذلك ما ثبت عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع كتاب الله.

منهج زيد بن ثابت في جمع القرآن:

تتبع زيد في جمع القرآن من العُسْب و اللُّخَاف و صدور الرجال، فكان منهجه أن يسمع من الرجال، ثم يعرض ما سمعه على ما كان مجموعاً في العُسْب و الأكتاف، فكان رضي الله عنه لا يكتفي بالسماع فقط دون الرجوع إلى الكتابة، وكذلك من منهجه في جمع القرآن أنه لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد عليه شاهدان، وهذا زيادة في التحفظ، مع أن زيدا كان من حفظة القرآن .
وبهذا التثبت و التحفظ تم جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق في مصحف واحد مرتب الآيات و السور.

المرحلة الثالثة: الجمع الثالث في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية و أذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا باليهود و النصارى. فأرسل إلى حفصة: أن أرسلني إلينا الصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، و عبد الله بن الزبير، و سعيد بن العاص، و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف.

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، و أرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، و أمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة و مصحف أن يحرق.

السبب الداعي للجمع:

السبب الدافع لهذا العمل الذي قام به عثمان وهو اختلاف الناس في وجوه قراءة القرآن حتى قرؤوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض، فحُشي من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخت تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره و اقتصر من سائر اللغات على لغة قريش.

الوحدة السابعة

ترتيب آيات القرآن وسوره

١-تعريف الآية:

لغة: أصلها بمعنى العلامة، ومنه قوله تعالى: {إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ} اصطلاحاً: فهي الجملة من كلام الله، ذو مبدأ ومقطع، مندرج في سورة.

٢-تعريف السورة:

لغة: من سور المدينة، أو من السورة بمعنى المرتبة والمنزلة الرفيعة. اصطلاحاً: الجملة من كلام الله ذو فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات.

-حكمة تقسيم القرآن إلى سور وآيات:

منها: أن القارئ إذا ختم سورة أو جزءاً من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له، وأبعث على التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله. ومنها: أن الحافظ إذا حدّق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة، فيعظم عنده ما حفظه، ومنه حديث أنس: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جلّ فينا.

مصدر ترتيب القرآن الكريم.

أجمع العلماء سلفاً وخلفاً على أن ترتيب الآيات في السورة توقيفي، أي اتبع فيه الصحابة أمر النبي ﷺ، وتلقاه النبي ﷺ عن جبريل، لا يشتهر في ذلك أحد. والأحاديث في إثبات التوقيف في ترتيب الآيات في السور كثيرة جداً تفوق حد التواتر، أذكر أمثلة منها:

ما أخرجه البخاري عن عبد الله بن الزبير قال: قلت لعثمان: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا} [البقرة: ٢٣٤] قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها أو تدعها؟ قال: يا ابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه.

وأخرج الإمام أحمد عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ إذ شخّص ببصره ثم صوّبه، ثم قال: "أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية في هذا الموضع {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى...} [النحل: ٩٠] إلى آخرها.

ترتيب سور القرآن:

جماهير العلماء على أن ترتيب سورة القرآن توقيفي، وليس باجتهاد من الصحابة.

والأدلة على أن ترتيب السور كلها توقيفي كثيرة جداً نذكر منها: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: في بني إسرائيل، الأسراء والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، إنهن من العتاق الأول، وهن من تلامي.

فذكر ابن مسعود السور نسقاً كما استقر ترتيبها.

وقوله ﷺ: "أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المنين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل.

قال أبو جعفر النحاس: وهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي ﷺ، وأنه مؤلف من ذلك الوقت، وإنما جمع في المصحف على شيء واحد.

ويشهد لذلك من حيث الدراية والعقل واقع الترتيب وطريقته، وذلك من وجهين لا يشك الناظر فيهما، أن الترتيب بين السور توقيفي: الأول: مما يدل على أنه توقيفي كون الحواميم رتبت ولاءً، وكذا الطواسين، ولم ترتب المسبحات ولاءً.

الثاني: ما راعاه العلماء الأئمة في بحوثهم من التزام بيان أوجه التناسب بين كل سورة وما قبلها، وبيان وجه ترتيبها. أقسام السور:

١- الطوال. سبع سور: (البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، والسابعة قيل: الأنفال والتوبة، وقيل: يونس.

٢- المنين. (ما كانت آياته مائة أو تقاربها)

٣- المثنائي. (ما كان أقل من المنين؛ سمي بالمثنائي لكثرة تثنيته أي: تكراره)

٤- المفصل. (من سورة ق إلى الناس) طواله: من ق-عم، وأوساطه: من عم-الضحى، وقصاره: من الضحى-الناس.

الوحدة الثامنة

رسم المصحف العثماني والآراء فيه

المراد برسم القرآن هنا كيفية كتابة الحروف والكلمات في المصحف على الطريقة التي كتبت عليها في المصاحف التي أمر عثمان اللجنة الرباعية فكتبها ووزعتها في الأمصار.

ويطلق عليه: رسم المصحف، ومرسوم الخط.

الآراء فيه:

الرأي الأول: أن الرسم العثماني ليس توقيفاً عن النبي ﷺ، ولكنه اصطلاح ارتضاه عثمان وتلقته الأمة بالقبول، فيجب التزامه والأخذ به، ولا يجوز مخالفته.

الرأي الثاني: أن رسم المصحف اصطلاح لا توقيفي، وعليه فيجوز مخالفته.

الرأي الثالث: أنه توقيفي لا يجوز مخالفته، وهو مذهب الجمهور.

واستدلوا بأن النبي ﷺ كان له كتاب يكتبون الوحي، وقد كتبوا القرآن كله بهذا الرسم، وقد أقرهم الرسول ﷺ على كتابتهم وقضى عهده ﷺ والقرآن على هذه الكتابة لم يحدث فيه تغيير ولا تبديل.

فجمهور العلماء ذهبوا إلى منع كتابة المصحف بما استحدث الناس من قواعد الإملاء، للمحافظة على نقل المصحف بالكتابة على الرسم نفسه الذي كتبه الصحابة.

وقد صرح الإمام أحمد فيه بالتحريم فقال: تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في ياء أو واو أو ألف أو غير ذلك.

وسئل الإمام مالك: هل تكتب المصحف على ما أخذته الناس من الهجاء؟ فقال: لا، إلا على الكتابة الأولى.

وجاء في الفقه الشافعي: إن رسم المصحف سنة متبعة.

وجاء في الفقه الحنفي: أنه ينبغي ألا يكتب بغير الرسم العثماني.

وقال الإمام أبو عمرو الداني: ولا مخالف له من علماء الأمة.

وهكذا اتخذت الأمة الإسلامية الرسم العثماني سنة متبعة إلى عصرنا هذا، كما قال البيهقي في "شعب الإيمان": "اتباع حروف المصاحف عندنا كالسنن القائمة التي لا يجوز لأحد أن يتعدها".

وكان ذلك للمبالغة في المحافظة والاحتياط على نص القرآن، حتى في مسألة شكلية، هي كيفية رسمه.

لكن استثنوا من ذلك نطق المصاحف وتشكيلها، لتتميز الحروف والحركات، فأجازوا ذلك بعد اختلاف في الصدر الأول عليه، وذلك لما اضطروا إلى ذلك لتلافي الأخطاء التي شاعت بسبب اختلاط العرب بالعجم.

أشهر المؤلفات في رسم القرآن:

١- المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار لأبي عمرو الداني

(ت: ٤٤٤).

٢- الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف للأندلسي (ت: ٦٥٤).

بالشيخ والشيخة الثيب من الرجال والنساء ، وهذا الحكم ، وهو رجم الثيب من الرجال والنساء اذا زنى ثابت ، ومعمول به ، علماً بأن هذه الآية لم يبق لها وجود بين دفتي المصحف ولا على السنة القراء ، ولا تجوز بها الصلاة ولا يتعبد بتلاوتها .

فائدة :

بالغ بعض الكتاب ممن تصدوا لدراسة الناسخ والمنسوخ ، فعدوا زيادة للبيان أو التقييد تجيء في احدى الآيات ، ناسخة للآية التي ورد فيها بلفظ العموم أو الإطلاق ، ورفض علماء الأصول اعتداد هذا نسخاً ، واعتبروا بيان العموم أو تقييد المطلق من قبيل التفصيلات التي توضح الحكم ، ويذكر الزركشي أمثلة عن مغالاة بعض العلماء في القول بفكرة النسخ ، فيقول : ومن ظريف ما حكي في كتاب هبة الله بن سلام الضرير : أنه قال في قوله تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ۖ ﴾

مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ الانسان / ٨ . منسوخ من هذه الجملة (وأسيراً) والمراد بذلك أسير المشركين ، فقرئ الكتاب عليه وابنته تسمع ، فلما انتهى الى هذا الموضع قالت : أخطأت يا أبت ! في هذا الكتاب ! فقال لها : وكيف يا بنية ؟ قالت : أجمع المسلمون على أن الأسير يُطعم ولا يقتل جوعاً ، والحق أن النسخ لا بد فيه من نقل صحيح وصريح عن رسول الله ﷺ أو عن صحابي يقول : آية كذا نسخت آية كذا أو يحكم به عند وجود التعرض المقطوع به ، مع علم التاريخ ، ليعرف المتقدم والمتأخر .

والأصل في الآيات القرآنية كلها الاحكام لا النسخ ، وقد حصر العلماء القول بالنسخ في آيات معدودة ، حددها السيوطي بتسع عشرة آية .

الوحدة العاشرة

القصص في القرآن

معنى القصص: القص: تتبع الأثر، والقصص: الأخبار المتتبعة، قال تعالى: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ}، وقال: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ}، والقصة: الأمر، والخبر، والشأن، والحال. وقصص القرآن: أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة، وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى صورة ناطقة لما كانوا عليه.

أنواع القصص في القرآن: ثلاثة:

النوع الأول: قصص الأنبياء، وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراسل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبيين، كقصص نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام.

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت حقيقتهم، كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذو القرنين، وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كغزوة بدر وأحد، وغزوة حنين وتبوك، وغزوة الأحزاب، والهجرة، والإسراء، ونحو ذلك.

فوائد قصص القرآن:

وللقصص القرآني فوائد نجل أهمها فيما يأتي:

١- إيضاح أسس الدعوة إلى الله، وبيان أصول الشرائع التي بعث بها كل نبي:

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}

٢- تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوب الأمة المحمدية على دين

الله وتقوية ثقة المؤمنين ببصيرة الحق وجنده، وخذلان الباطل وأهله: {وَكَلَّا

نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ

وَذِكْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ}.

٣- تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم.

٤- إظهار صدق محمد صلى الله عليه وسلم في دعوته بما أخبر به عن أحوال

الماضين عبر القرون والأجيال.

٥- مقارنته أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى، وتحديه لهم

بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل، كقوله تعالى: {كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ جَلَاءً

لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا

بِالتَّوْرَةِ فَاتْلَوْهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.

٦- والقصص ضرب من ضروب الأدب، يصغي إليه السمع، وترسخ عبره في النفس: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}. تكرار القصص وحكمته:

يشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص الذي تكرر في غير موضع، فالقصة الواحدة يتعدد ذكرها في القرآن، وتعرض في صور مختلفة في التقديم والتأخير، والإيجاز والإطناب، وما شابه ذلك. ومن حكمة هذا:

١- بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها. فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتميز عن الآخر، وتُصاغ في قالب غير القالب، ولا يمل الإنسان من تكرارها، بل تتجدد في نفسه معان لا تحصل له بقراءتها في المواضيع الأخرى.

٢- قوة الإعجاز: فإيراد المعنى الواحد في صور متعددة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة منها أبلغ في التحدي.

٣- الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها في النفس، فإن التكرار من طرق التأكيد وأمارات الاهتمام. كما هو الحال في قصة موسى مع فرعون؛ لأنها تمثل الصراع بين الحق والباطل أتم تمثيل مع أن القصة لا تكرر في السورة الواحدة مهما كثر تكرارها.

٤- اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة فتذكر بعض معانيها الوافية بالعرض في مقام، وتبرز معان أخرى في سائر المقامات حسب اختلاف مقتضيات الأحوال.

أهم المؤلفات في قصص القرآن:

١- قصص الأنبياء في القرآن الكريم وما فيها من العبر للشيخ عبدالرحمن السعدي.

٢- قصص القرآن الكريم لفضل حسن عباس.

٣- القصص القرآني د. صلاح الخالدي.

الوحدة الحادية عشر

الأمثال في القرآن

تعريف الأمثال: جمع مثل، والمثل والمِثْل والمِثْل والمِثْل: كالشبه والشبه والشبه لفظاً ومعنى.

والمثل في الأدب: قول محكي سائر يُقصد به تشبيه حال الذي حُكي فيه بحال الذي قيل لأجله، أي يشبه مضربه بمورده، مثل: "رُب رمية من غير رام" أي رُب رمية مصيبة حصلت من رام شأنه أن يخطئ. وقيل في ضابط المثل: إنه إبراز المعنى في صورة حسية تكسبه روعة وجمالاً.

أنواع الأمثال في القرآن ثلاثة:

١- الأمثال المصراحة. ٢- والأمثال الكامنة. ٣- والأمثال المرسلة.

النوع الأول: الأمثال المصراحة: وهي ما صرح فيها بلفظ المثل، أو ما يدل على التشبيه، وهي كثيرة في القرآن نورد منها ما يأتي:

أ- قوله تعالى في حق المنافقين: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ، صُمُّ بَكْمٍ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ، أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ} إلى قوله: {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

ب- وذكر الله المتلين: المائي والناري - في سورة الرعد للحق والباطل. فقال تعالى: {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ جَلِينَةٍ أَوْ مَنَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ}.

النوع الثاني من الأمثال: الأمثال الكامنة: وهي التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل، ولكنها تدل على معان رائعة في إيجاز: يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها، ويمثلون لهذا النوع بأمثلة منها:

١- ما في معنى قولهم: "خير الأمور الوسط":

أ- قوله تعالى في البقرة: {لَا فَاْرِضْ وَلَا يَكْرَهُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ}.

ب- قوله تعالى في النفقة: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا}.

ج- قوله تعالى في الصلاة: {وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا}.

د- قوله تعالى في الإنفاق: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ}.

٢- ما في معنى قولهم: "ليس الخبر كالمعاينة":

قوله تعالى في إبراهيم عليه السلام: {قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنِ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي}.

٣- ما في معنى قولهم: "كما تدين تُدان":

قوله تعالى: {مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ}.

٤- ما في معنى: "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين":
قوله تعالى على لسان يعقوب: {قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ
مِنْ قَبْلٍ}.

النوع الثالث: الأمثال المرسلة في القرآن: وهي جمل أرسلت إرسالا من غير
تصريح بلفظ التشبيه. فهي آيات جارية مجرى الأمثال.
ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

١. (الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ).
٢. (لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ).
٣. (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ).
٤. (أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ).
٥. (لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ).
٦. (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ).
٧. (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ).
٨. (وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ).
٩. (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ).

الوحدة الثانية عشر

القسم في القرآن

تعريف القسم وصيغته:

الأقسام: جمع قَسَمَ - بفتح السين- بمعنى الحلف واليمين، والصيغة الأصلية للقسم أن يؤتى بالفعل "أقسم" أو "أحلف" متعديًا بالباء إلى المُقسَم به. ثم يأتي المُقسَم عليه، وهو المسمى بجواب القسم، كقوله تعالى: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَنْعَتُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ}.

فأجزاء صيغة القسم ثلاثة:

١- الفعل الذي يتعدى بالباء. ٢- والمقسم به. ٣- والمقسم عليه.

فائدة القسم في القرآن:

تمتاز اللغة العربية بدقة التعبير واختلاف الأساليب بتنوع الأغراض، وللمخاطب حالات مختلفة، هي المسماة في المعاني بأضرب الخبر الثلاثة: الابتدائي، والطلبية، والإنكاري، فقد يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم فيلقى إليه الكلام دون تأكيد، ويُسمى هذا الضرب: ابتدائيًا، وقد يكون مترددًا في ثبوت الحكم وعدمه، فيحسن تقوية الحكم له بمؤكد ليزيل تردده، ويُسمى هذا الضرب: طلبيًا.

وقد يكون منكرًا للحكم، فيجب أن يؤكد له الكلام بقدر إنكاره قوة وضعفًا، ويُسمى هذا الضرب: إنكاريًا.

والقسم من المؤكدات المشهورة التي تمكن الشيء في النفس وتقويه، وقد نزل القرآن الكريم للناس كافة، ووقف الناس منه مواقف متباينة، فمنهم الشاك، ومنهم المنكر، ومنهم الخصم الألد. فالقسم في كلام الله يزيل الشكوك، ويحبط الشبهات، ويقم الحجة، ويؤكد الأخبار، ويقرر الحكم في أكمل صورة.

أنواع القسم:

القسم إما ظاهر، وإما مضمَر.

١- فالظاهر: هو ما صرح فيه بفعل القسم، وصرح فيه بالمقسم به، ومنه ما حذف فيه فعل القسم كما هو الغائب اكتفاءً بالجار من الباء أو الواو أو التاء، كقوله تعالى: {لَا أَقْسَمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}..

٢- والقسم المضمَر: هو ما لم يصرح فيه بفعل القسم، ولا بالمقسم به، وإنما تدل عليه اللام المؤكدة التي تدخل على جواب القسم كقوله تعالى: {لَتَبْلُؤُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ}، أي والله لتبلون.

أهم المؤلفات في أقسام القرآن:

١- التبيان في إيمان القرآن للعلامة ابن القيم رحمه الله (ت: ٧٥١هـ).

٢- إمعان في أقسام القرآن لعبد الحميد الفراهي رحمه الله (ت: ١٣٤٩هـ).

٣- القسم في اللغة والقرآن تأليف الشيخ محمد المختار السلامي التونسي.

٤- القسم في القرآن الكريم للدكتور حسين نصار.

الوحدة الثالثة عشر

فواتح السور

فواتح السور هي أوائلها ومبادئها، وقد صحت هذه التسمية عن النبي صلى الله عليه وسلم، فعن النواس بن سمعان رضي الله عنه أن النبي ﷺ ذكر الدجال - إلى أن قال - : "فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف" رواه مسلم. وفواتح السور شامل لجميع فواتح سور القرآن والبالغ عددها ١١٤ سورة. كما أنه شامل لما افتتحت به السور من الألفاظ والكلمات، والمعاني والموضوعات.

أنواع فواتح السور:

افتتح الله سبحانه سور كتابه العزيز بعشرة أنواع من الكلام ، لا يخرج شيء من السور عنها:

أثنى على نفسه سبحانه بثبوت المدح والسلب لما استفتح السور والأمر شرط النداء التعليل والقسم الدعاء حروف التهجي استفهم الخبر الأول: استفتاحه بالثناء عليه عز وجل، والثناء عليه قسمان إثبات لصفات المدح، والتنزيه من صفات النقص:

فالإثبات نحو: "الحمد لله" في سور خمس، "تبارك الله الذي نزل الفرقان"، "تبارك الذي بيده الملك"

والتنزيه نحو: "سبحان الذي أسرى"، "سبح اسم ربك الأعلى"، "سبح لله"، "يسبح لله" فالتسبيح فاتحة سبع سور. فهذه أربع عشرة سورة استفتحت بالثناء على الله تعالى، نصفها لثبوت صفات الكمال، ونصفها لسلب النقص.

النوع الثاني: استفتاح السور بحروف التهجي، نحو: "الم"، "المص"، "المر"، "المصر"، "كهيعص"، "طه"، "طسم"، "طس"، "يس"، "ص"، "حم"، "حم عسق"، "ق"، "ن"، وذلك في تسع وعشرين سورة.

الثالث: النداء نحو: "يا أيها الناس"، "يا أيها الذين آمنوا"، "يا أيها النبي"، "يا أيها المزمحل"، "يا أيها المدثر" وذلك في عشر سور.

الرابع: الجمل الخبرية نحو: "يسألونك عن الأنفال"، "براءة من الله"، "أتى أمر الله"، "أقترب للناس"، "قد أفلح المؤمنون"، "سورة أنزلناها"، "تنزيل الكتاب"، "الذين كفروا"، "إنا فتحنا"، "أقتربت الساعة"، "الرحمن علم القرآن"، "قد سمع الله"، "الحاقة"، "سأل سائل"، "إنا أرسلنا"، "لا أقسم" في موضعين، "عبس"، "إنا أنزلناه"، "لم يكن"، "القارعة"، "الهاكم"، "إنا أعطيناك" فذلك ثلاث وعشرون سورة.

الخامس: القسم نحو: "والصافات"، "والذاريات"، "والطور"، "والنجم"، "والمرسلات"، "والنازعات"، "والسماء ذات البروج"، "والسماء والطارق"، "والفجر"، "والشمس"، "والليل"، "والضحى"، "والتين"، "والعاديات"، "والعصر"، فذلك خمس عشرة سورة.

السادس: الشرط نحو: "إذا وقعت"، "إذا جاءك المنافقون"، "إذا الشمس كورت"، "إذا السماء انفطرت"، "إذا السماء انشقت"، "إذا زلزلت"، "إذا جاء نصر الله والفتح" فذلك في سبع سور.

السابع: الأمر في ست سور: "قل أوحى"، "اقرأ باسم ربك"، "قل يا أيها الكافرون"، "قل هو الله أحد"، "قل أعوذ"، "قل أعوذ".

الثامن: لفظ الاستفهام في ست سور: "هل أتى"، "عم يتساءلون"، "هل أتاك"، "ألم نشرح"، "ألم تر"، "أرأيت".

التاسع: الدعاء في ثلاث سور: "ويل للمطففين"، "ويل لكل همزة"، "تبت يدا أبي لهب وتب".

العاشر: التعليل في موضع واحد، وهو "إيلاف قريش".
الحروف المقطعة:

النظر للحروف المقطعة له مقامان:

الأول: النظر في معناها:

فقيل لها معنى؛ ثم اختلفوا فيها: ١- أسماء للسور. ٢- أسماء لله. ٣- الله أعلم بالمعنى. وقيل: لا معنى لها.

الثاني: في الحكمة التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور، والصحيح أن الحكمة بيان إعجاز المشركين أن يأتوا بمثل هذا القرآن مع أنه مركب من هذه الحروف التي يتكلمون بها وهذا القول رجحه جميع المحققين وهو اختيار ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم.

فائدة: عادة القرآن تعقيب الحروف المقطعة بالانتصار للقرآن.

أهم المؤلفات في الفواتح:

١- الخواطر السوانح في أسرار الفواتح لزكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن أبي الإصبع.

٢- مختصر البيان في فواتح سور القرآن لحسن يونس حسن عبيد.

٣- وجه التحدي والإعجاز في الأحرف المقطعة في أوائل السور د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي.

الوحدة الرابعة عشر

المناسبات في القرآن الكريم

المناسبة في اللغة: المقاربة، يقال فلان يناسب فلاناً أي يقرب منه ويشاكله، ومنه المناسبة في العلة في باب القياس، وهي الوصف المقارب للحكم. والمراد بالمناسبة اصطلاحاً: وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة. فائدة معرفة المناسبة: إدراك اتساق المعاني، وإعجاز القرآن البلاغي، وإحكام بيانه، وانتظام كلامه، وروعة أسلوبه {كِتَابٌ أُخْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}.

قال الزركشي: "وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها أخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء". وقال القاضي أبو بكر بن العربي: "ارتباط أي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني، علم عظيم". وطريقة معرفة المناسبات والربط بين الآيات ليست أمراً توقيفياً، ولكنها تعتمد على اجتهاد المفسر ومبلغ تذوقه لإعجاز القرآن وأسواره البلاغية وأوجه بيانه الفريد، فإذا كانت المناسبة دقيقة المعنى، منسجمة مع السياق، متفقة مع الأصول اللغوية في علوم العربية، كانت مقبولة لطيفة. ولا يعني هذا أن يلتمس المفسر لكل آية مناسبة، فإن القرآن الكريم نزل مُنْجِماً حسب الوقائع والأحداث، وقد يدرك المفسر ارتباط آياته وقد لا يدركها، فلا ينبغي أن يعتسف المناسبة اعتسافاً، وإلا كانت تكلفاً ممقوثاً، قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: "المناسبة علم حسن، ولكن يُشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره: فإن وقع على أسباب مختلفة لم يُشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر" ثم قال: "ومن ربط بين ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يسان عنه حسن الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة، ولأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض".

وقد عني بعض المفسرين ببيان المناسبة بين الجمل، أو بين الآيات، أو بين السور واستنبطوا وجوه ارتباط دقيقة. فالجملة قد تكون تأكيداً لما قبلها، أو بياناً، أو تفسيراً، أو اعتراضاً تذييلياً، ولهذا أمثلته الكثيرة.

وللآية تعلقها بما قبلها على وجه من وجوه الارتباط يجمع بينها، كالمقابلة بين صفات المؤمنين وصفات المشركين، ووعيد هؤلاء ووعد أولئك، وذكر آيات الرحمة بعد آيات العذاب، وآيات الترغيب بعد آيات التهيب، وآيات التوحيد والتنزيه بعد الآيات الكونية وهكذا.

وقد تكون المناسبة بين السورة والسورة، كافتتاح سورة "الأنعام" بالحمد: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ}، فإنه مناسب

لختام سورة "المائدة" في الفصل بين العباد ومجازاتهم: {إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}.. إلى آخر السورة، كما قال سبحانه: {وَفُضِّي بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، وكافتتاح سورة "الحديد" بالتسبيح: {سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}، فإنه مناسب لختام سورة "الواقعة" من الأمر به: {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ}، وكرتباط سورة {إِيلَافِ قُرَيْشٍ}، بسورة "الفيل" فإن هلاك أصحاب الفيل كانت عاقبته تمكين قريش من رحلتها شتاءً وصيفاً، حتى قال الأخفش: اتصالها بها من باب قوله تعالى: {فَالنَّقْطَةُ آلٌ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا}. وقد تكون المناسبة بين فواتح السور وخواتمها: ومن ذلك ما في سورة "القصص" فقد بدأت بقصة موسى عليه السلام، وبيان مبدأ أمره ونصره، ثم ما كان منه عندما وجد رجلين يقتتلان.

وحكى الله دعاءه: {قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ}، ثم ختم الله السورة بتسليية رسولنا ﷺ - بخروجه من مكة والوعد بعودته إليها، ونهيه عن أن يكون ظهيراً للكافرين: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ، وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ}. ومن تتبع كتب التفسير وجد كثيراً من وجوه المناسبات.

المؤلفات في المناسبات:

- ١- "البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن" لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي النحوي.
- ٢- "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" للشيخ برهان الدين البقاعي.

الوحدة الخامسة عشر

الأحرف السبعة

- التعريف:- معنى الأحرف قال أهل اللغة حرف كل شيء طرفه ووجهه وحافته وحده وناحيته والقطعة منه والحرف أيضاً واحد حروف التهجي كأنه قطع من الكلمة.

أما تعريفها اصطلاحاً: فلا نستطيع تعريف الأحرف السبعة حتى نعرف كلام العلماء فيها ومن خلال القول الراجح يكون التعريف.
(قال) الحافظ أبو عمرو الداني: معنى الأحرف التي أشار إليها النبي ﷺ هاهنا يتوجه إلى وجهين:

أحدهما: أن يعني أن القرآن أنزل على سبعة أوجه من اللغات... والحرف قد يراد به الوجه بدليل قوله تعالى (يُعبد الله على حرف) الآية فالمراد بالحرف هنا الوجه أي على النعمة والخير.

والوجه الثاني: أن يكون سمي القراءات أحرفاً على طريق السعة كعادة العرب في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه وما قاربه وجاوره، فسمي القراءة - إذ كان ذلك الحرف فيها - حرفاً على عادة العرب في ذلك.

قال ابن الجزري: وكلا الوجهين محتمل إلا أن الأول: محتمل احتمالاً قوياً في قول النبي ﷺ: ((سبعة أحرف)) أي: سبعة أوجه وأنحاء، والثاني: محتمل احتمالاً قوياً في قول عمر رضي الله عنه في الحديث سمعت هشاماً يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم يقرئها رسول ﷺ أي: على قراءات كثيرة.
بيان الأحرف السبعة في الحديث النبوي:

لما كان سبيل معرفة هذا الموضوع هو النقل الثابت الصحيح عن الذي لا ينطق عن الهوى، نقدم ما يوضح المراد من الأحرف السبعة:

عن عمر بن الخطاب _ قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله ، فكذبت أساوره في الصلاة، فنصبت حتى سلم، فلبيته بردانه، فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ، قال: أقرأنيها رسول الله ، فقلت له: كذبت، أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم يقرئها، فقال: " أرسله، اقرأ يا هشام"، فقرأ القراءة التي سمعته، فقال رسول الله : "كذلك أنزلت" ثم قال رسول الله : "اقرأ يا عمر"، فقرأت التي أقرأني. فقال: "كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه".

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله قال: "أقرأني جبريل على حرف، فلم أزل أستزيده، ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف".

سبب وروده على سبعة أحرف:

1. للتخفيف على هذه الأمة.

٢. وخصوصية لفضلها.

٣. وإجابة لقصد نبيها أفضل الخلق حيث لم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف.

كانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة وأسننتهم شتى ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها أو من حرف إلى آخر بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولا بالتعليم والعلاج لاسيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتابا كما أشار إليه ﷺ. فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن أسننتهم لكان من التكليف بما لا يستطيع.

قال الإمام أبو محمد عبد الله بن قتيبة رحمه الله: (ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشيا وكهلا لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة وتذليل للسان وقطع للعادة فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعا في اللغات ومتصرفا في الحركات كتيسيره عليهم في الدين).

المقصود بهذه السبعة:-

اختلف العلماء في ذلك مع إجماعهم:

١- أنه ليس المقصود أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه إذ لا يوجد ذلك إلا في كلمات يسيرة نحو (أف، وجبريل، وأرجه وهيئات وهييت).

٢- وعلى أنه لا يجوز أن يكون المراد هؤلاء السبعة القراء المشهورين وإن كان يظنه بعض العوام.

أشهر الأقوال في الخلاف:

القول الأول: أكثر العلماء على أنها لغات ثم اختلفوا في تعيينها:

أ- فقال أبو عبيد: قریش، وهذيل، وثقيف، وهوازن، وكنانة، وتميم، واليمن.

ب- وقال غيره خمس لغات في أكناف هوازن: سعد وثقيف، وكنانة وهذيل، وقریش، ولغتان على جميع السنة العرب.

ج- وقال أبو عبيد أحمد بن محمد بن محمد الهروي يعني على سبع لغات من لغات العرب أي أنها متفرقة في القرآن فبعضه بلغة قریش وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغة اليمن.

(قال ابن الجزري رحمه الله) وهذه الأقوال مدخولة فإن عمر بن الخطاب و هشام بن حكيم اختلفا في قراءة سورة الفرقان كما ثبت في الصحيح وكلاهما قرشيان من لغة واحدة وقبيلة واحدة.

القول الثاني: قال بعضهم المراد بها معاني الأحكام ثم اختلفوا في تحديدها:

أ- (فقيل) المراد: الحلال والحرام، والمحكم والمتشابه، والأمثال، والإنشاء، والإخبار.

ب- (وقيل) الناسخ والمنسوخ، والخاص والعام، والمجمل والمبين، والمفسر.

ج- (وقيل) الأمر، والنهي، والطلب، والدعاء، والخبر، والإستخبار، والزجر.

د- (وقيل) الوعد، والوعيد، والمطلق، والمقيد، والتفسير، والإعراب، والتأويل.

(قال ابن الجزري رحمه الله) وهذه الأقوال غير صحيحة فإن الصحابة الذين اختلفوا وترافعوا إلى النبي ﷺ كما ثبت في حديث عمر و هشام وأبي وابن مسعود وعمرو بن العاص وغيرهم لم يختلفوا في تفسيره ولا أحكامه وإنما اختلفوا في قراءة حروفه.

القول الثالث: يقول ابن الجزري رحمه الله: ولا زلت استشكل هذا الحديث وأفكر فيه وأمعن النظر من نيف وثلاثين سنة حتى فتح الله علي بما يمكن أن يكون صواباً إن شاء الله وذلك أنني تتبعت القراءات صحيحتها وشاذها وضعيفها ومنكرها...

فاذا اختلفها يرجع إلى سبعة أوجه من الاختلاف لا يخرج عنها وذلك:
[١] إما في الحركات بلا تغيير في المعنى والصورة: نحو (ويحسب) بوجهين.

[٢] أو بتغيير في المعنى فقط نحو (فتلقى آدم من ربه كلمات).

[٣] وإما في الحروف بتغيير المعنى لا الصورة نحو (تبلوا، وتتلوا)، (ننحيك بيدنك لتكون لمن خلفك، ننحيك بيدنك).

[٤] أو عكس ذلك نحو (بصطة، وبسطة)، (الصراط، والسرائط)

[٥] أو بتغييرهما نحو (أشد منكم، منهم)، (ويأتل، يتأل)، (فامضوا إلى ذكر الله، فاسعوا).

[٦] وإما في التقديم والتأخير مثل، {فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ} [التوبة: ١١١] وقرئ: {فَيُقْتَلُونَ وَيَقْتُلُونَ} ومثل: {وجاءت سكرة الموت بالحق}، قرئ: {وجاءت سكرة الحق بالموت}.

[٧] أو في الزيادة والنقصان نحو (وأوصى، ووصى)، (والذكر والأنثى) فهذه سبعة أوجه لا يخرج الاختلاف عنها.

وأما نحو اختلاف الإظهار، الإدغام، والروم، والاشمام، والتفخيم، والترقيق، والمد، والقصر، والإمالة، والفتح، والتحقيق، والتسهيل، والإبدال، والنقل مما يعبر عنه بالأصول فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ والمعنى لأن هذه الصفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً ولنن فرض فيكون من الأول.

إذن على هذا الترجيح يكون معنى الأحرف السبعة: سبعة أوجه فصيحة من اللغات والقراءات أنزل عليها القرآن الكريم.

ولا يخفى علينا أن العلماء اختلفوا في تحديد هذه الأوجه السبعة: فقد ذكر الإمام الكبير أبا الفضل الرازي سبعة أوجه، وكذلك ابن قتيبة، مع تغاير يسير في تحديدها.

- حقيقة اختلاف هذه السبعة الأحرف المنصوص عليها من النبي ﷺ وفائدته:
فإن الاختلاف المشار إليه في ذلك اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض؛ فإن هذا محال أن يكون في كلام الله تعالى قال تعالى: {أفلا يتدبرون

القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً { فاختلفت القراءات كلها لا تخلو من ثلاثة أحوال:

(أحدها) اختلاف اللفظ والمعنى واحد. (تنوع)

(الثاني) اختلافهما جميعاً مع جواز اجتماعهما في شيء واحد. (تغاير)

(الثالث) اختلافهما جميعاً مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد. (تغاير)

فأما الأول فكالاختلاف في (الصراط، وعليهم، والقدس، وبحسب) ونحو ذلك مما يطلق عليه أنه لغات فقط.

وأما الثاني فنحو (مالك، ومالك) في الفاتحة لأن المراد في القراءتين هو الله تعالى لأنه مالك يوم الدين وملكه، وكذا (يكذبون، ويكذبون) لأن المراد بهما هم المنافقون لأنهم يكذبون بالنبي ﷺ ويكذبون في أخبارهم، وكذا (كيف ننشرها) بالراء والزاي؛ لأن المراد بهما هي العظام وذلك أن الله أنشأها أي أحيائها وأنشأها أي رفع بعضها إلى بعض حتى التأممت فضمن الله تعالى المعنيين في القراءتين.

وأما الثالث فنحو (وظنوا أنهم قد كذبوا) بالتشديد والتخفيف فأما وجه تشديد (كذبوا) فالمعنى وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم ووجه التخفيف هو توهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به فالظن في الأولى يقين والضمائر الثلاثة للرسل والظن في القراءة الثانية شك والضمائر الثلاثة للمرسل إليهم.

وكذا (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) بفتح اللام ورفع الأخرى وبكسر الأولى وفتح الثانية، فأما وجه فتح اللام الأولى ورفع الثانية من (لتزول) فهو أن يكون أن مخففة من الثقيلة أي وإن مكرهم كان من الشدة بحيث تقطع منه الجبال الراسيات من مواضعها وفي القراءة الثانية إن نافية أي ما كان مكرهم وإن تعظم وتفاقم لتزول منه أمر محمد ﷺ ودين الإسلام ففي الأولى تكون الجبال حقيقة وفي الثانية مجازاً.

وكل ما صح عن النبي صلى ﷺ من ذلك فقد وجب قبوله ولم يسع أحداً من الأمة رده ولزم الإيمان به وأن كله منزل من عند الله إذ كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها واتباع ما تضمنته من المعنى علماً وعملاً ولا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ظناً أن ذلك تعارض وإلى ذلك أشار عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بقوله: "لا تختلفوا في القرآن ولا تتنازعا فيه فإنه لا يختلف ولا يتساقط، ألا ترون أن شريعة الإسلام فيه واحدة، حدودها وقراءتها وأمر الله فيها واحد، ولو كان من الحرفين حرف يأمر بشيء ينهى عنه الآخر كان ذلك الاختلاف ولكنه جامع ذلك كله، ومن قرأ على قراءة فلا يدعها رغبة عنها فإنه من كفر بحرف منه كفر به كله".

وإلى ذلك أشار النبي ﷺ حيث قال لأحد المختلفين "أحسنتم" وفي الحديث الآخر "أصبت" وفي الآخر "هكذا أنزلت" فصوب النبي ﷺ قراءة كل من المختلفين وقطع بأنها كذلك أنزلت من عند الله.

وبهذا افترق اختلاف القراء من اختلاف الفقهاء فإن اختلاف القراء كله حق وصواب نزل من عند الله وهو كلامه لا شك فيه، واختلاف الفقهاء اختلاف اجتهادي والحق في نفس الأمر فيه واحد فكل مذهب بالنسبة إلى الآخر صواب يحتمل الخطأ، وكل قراءة بالنسبة إلى الأخرى حق وصواب في نفس الأمر تقطع بذلك ونؤمن به.

فائدة اختلاف القراءات وتنوعها:

١. التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة.
٢. ما في ذلك من نهاية البلاغة.
٣. كمال الإعجاز وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز، إذ كل قراءة بمنزلة الآية، إذ كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدثها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل.
٤. سهولة حفظه وتيسير نقله على هذه الأمة إذ هو على هذه الصفة من البلاغة والوجازة، فإنه من يحفظ كلمة ذات أوجه أسهل عليه وأقرب إلى فهمه وأدعى لقبوله من حفظه جملاً من الكلام تؤدي معاني تلك القراءات المختلفات لا سيما فيما كان خطه واحداً فإن ذلك أسهل حفظاً وأيسر لفظاً.
٥. بيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم، من حيث تلقى كتاب ربهم هذا التلقي، وإقبالهم عليه هذا الإقبال، والبحث عن لفظة لفظة، والكشف عن صيغة صيغة، وبيان صوابه، وبيان تصحيحه، وإتقان تجويده، حتى حموه من خلل التحريف، وحفظوه من الطغيان والتطفيف، فلم يهملوا تحريكاً ولا تسكيناً، ولا تفخيماً ولا ترفيماً، حتى ضبطوا مقادير المدات وتفاوت الإمالات وميزوا بين الحروف بالصفات، مما لم يهتد إليه فكر أمة من الأمم، ولا يوصل إليه إلا بالهام باري النسم.
٦. ما ادخره الله من المنقبة العظيمة، والنعمة الجليلة الجسيمة لهذه الأمة الشريفة، من إسنادها كتاب ربها، واتصال هذا السبب الإلهي بسببها خصيصة الله تعالى هذه الأمة المحمدية، وإعظماً لقدرة أهل هذه الأمة الحنيفية وكل قارئ يوصل حروفه بالنقل إلى أصله، ويرفع أرتياب الملحد قطعاً بوصله، فلو لم يكن من الفوائد إلا هذه الفائدة الجليلة لكفت، ولو لم يكن من الخصائص إلا هذه الخصيصة النبيلة لوفت.
٧. ظهور سر الله في توليه حفظ كتابه العزيز وصيانة كلامه المنزل بأوفى البيان والتميز، فإن الله تعالى لم يخل عصراً من الأعصار، ولو في قطر من الأقطار، من إمام حجة قائم بنقل كتاب الله تعالى وإتقان حروفه ورواياته، وتصحيح وجوهه وقرآته، يكون وجوده سبباً لوجود هذا السبب القويم على مر الدهور، ويقاؤه دليلاً على بقاء القرآن العظيم في المصاحف والصدور.

الوحدة السادسة عشر ترجمة القرآن

معنى الترجمة:

الترجمة تطلق على معنيين:

أولهما: الترجمة الحرفية: وهي نقل ألفاظ من لغة إلى نظائرها من اللغة الأخرى بحيث يكون النظم موافقاً للنظم، والترتيب موافقاً للترتيب. ثانيهما: الترجمة التفسيرية أو المعنوية: وهي بيان معنى الكلام بلغة أخرى من غير تقييد بترتيب كلمات الأصل أو مراعاة لنظمه.

حكم الترجمة الحرفية:

لا يجد المرء أدنى شبهة في حرمة ترجمة القرآن ترجمة حرفية بل واستحالة ذلك؛ فالقرآن كلام الله المنزل على رسوله المِعْجَز بألفاظه ومعانيه المتعبد بتلاوته، ولا يقول أحد من الناس إن الكلمة من القرآن إذا ترجمت يقال فيها إنها كلام الله، فإن الله لم يتكلم إلا بما تتلوه بالعربية، ولن يتأتى الإعجاز بالترجمة؛ لأن الإعجاز خاص بما أنزل باللغة العربية - والذي يتعبد بتلاوته هو ذلك القرآن العربي المبين بألفاظه وحروفه وترتيب كلماته. فترجمة القرآن الحرفية على هذا مهما كان المترجم على دراية باللغات وأساليبها وتراكيبها تخرج القرآن عن أن يكون قرآناً.

الخلاصة: أن الترجمة الحرفية مستحيلة الوقوع عقلاً ومحرم شرعاً .
أسباب استحالة الترجمة الحرفية وبيان حرمتها:

أ - أما كونها مستحيلة فالاستدلال على ذلك من طريقتين:

١ - لأن ترجمة القرآن بهذا المعنى تستلزم المحال وكل ما يستلزم المحال محال إذ لا بد في تحقيقها من الوفاء بجميع معاني القرآن وبجميع مقاصده ، كما في أسلوب علوم المعاني والبيان المتعددة، والتي هي أساس بلاغته وإعجازه وكل ذلك مفقود في غير العربية، وما كان لبشر أن يحيط بها فضلاً عن أن يحاكيها في كلام له.

٢ - ولأن ترجمة القرآن بهذا المعنى إيجاد مثل للقرآن وهذا مستحيل، وقد ثبت أن القرآن تحدى أفصح العرب أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه فعجزوا عن المعارضة والمحاكاة، ولا شك أن غير العرب أشد عجزاً وبعداً عن ذلك قال تعالى: {قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً}.

ب - وأما كونها محرمة شرعاً فلأمور التالية :

١ - إن محاولة هذه الترجمة ادعاء لإمكان وجود مثل للقرآن وذلك تكذيب شنيع لقوله تعالى: { قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن }.

٢ - إن محاولة هذه الترجمة تشجع الناس على انصرافهم عن كتاب ربهم مكثفين ببذل أو أبدال يزعمونها ترجمات له، وإذا امتد الزمان بهذه الترجمات فسيذهب عنها اسم الترجمة ويبقى اسم القرآن وحده علماً عليها.

٣ - إن الأمة اجتمعت على عدم جواز رواية القرآن بالمعنى ومعلوم أن ترجمة القرآن بهذا المعنى العرفي تساوي روايته بالمعنى فكلتاها صيغة مستقلة وافية بجميع معاني الأصل ومقاصده لا فرق بينهما إلا في القشرة اللفظية . فالرواية بالمعنى لغتها لغة الأصل وهذه الترجمة لغتها غير لغة الأصل وإذا كانت رواية القرآن بالمعنى في كلام عربي ممنوعة إجماعاً فهذه الترجمات ممنوعة كذلك قياساً على هذا المجمع عليه بل أخرى بالمنع للاختلاف بين لغتها ولغة الأصل.

ومن الأخطاء التي وقع فيها المترجمون، استعمال أداة العطف (الواو) فحرف العطف هذا من أكثر أدوات العطف التي يقع الخطأ فيها أثناء الترجمة، فأداة العطف بالإنجليزية (and) يستخدمها المترجمون كلما وجدوا حرف (الواو) في النص العربي، وهذا يؤدي إلى الزيادة والحشو في اللغة الإنجليزية. ومن أخطاء الترجمة الشائعة أيضاً تغيير صيغة الجملة المعطوفة من المبني للمجهول إلى المبني للمعلوم، إلى جانب الأخطاء الوظيفية والتوصيلية، مثل الاختيار الخاطئ لأدوات العطف، واستبدال أداة عطف بأخرى، إلى غير ذلك من الأخطاء.

حكم الترجمة المعنوية:

وترجمة معاني القرآن الثانوية أمر غير ميسور، إذ إنه لا توجد لغة توافق اللغة العربية في دلالة ألفاظها على هذه المعاني المسماة عند علماء البيان خواص التراكيب، وذلك ما لا يسهل على أحد ادعاؤه. فوجوه البلاغة القرآنية في اللفظ أو التركيب. تنكيزاً وتعريفياً، أو تقديماً وتأخيراً، أو ذكرًا وحذفًا، إلى غير ذلك مما تسامت به لغة القرآن، وكان له وقعه في النفوس - هذه الوجوه في بلاغة القرآن لا يفي بحقها في أداء معناها لغة أخرى، لأي لغة لا تحمل تلك الخواص.

أما المعاني الأصلية فهي التي يمكن نقلها إلى لغة أخرى. وقد ذكر الشاطبي في الموافقات المعاني الأصلية والمعاني الثانوية ثم قال: "إن ترجمة القرآن على الوجه الأول يعني النظر إلى معانيه الأصلية- ممكن، ومن جهته صح تفسير القرآن وبيان معانيه للعامة ومن ليس لهم فهم يقوى على تحصيل معانيه. وكان ذلك جائزاً باتفاق أهل الإسلام، فصار هذا الاتفاق حجة في صحة الترجمة على المعنى الأصلي".

ومع هذا فإن ترجمة المعاني الأصلية لا تخلو من فساد، فإن اللفظ الواحد في القرآن قد يكون له معنيان أو معان تحتملها الآية فيضع المترجم لفظاً يدل على معنى واحد حيث لا يجد لفظاً يشاكل اللفظ العربي في احتمال تلك المعاني المتعددة.

وقد يستعمل القرآن اللفظ في معنى مجازي فيأتي المترجم بلفظ يرادف اللفظ العربي في معناه الحقيقي. ولهذا ونحوه وقعت أخطاء كثيرة فيما تُرجم لمعاني القرآن.

وما ذهب إليه الشاطبي واعتبره حجة في صحة الترجمة على المعنى الأصلي ليس على إطلاقه. فإن بعض العلماء يخص هذا بمقدار الضرورة في إيلاغ الدعوة. بالتوحيد وأركان العبادات، ولا يتعرض لما سوى ذلك، ويؤمر من أراد الزيادة بتعلم اللسان العربي.

إذن الأولى هو ترجمة التفسير عند الحاجة:

فعلماء الإسلام إذا قاموا بتفسير للقرآن، يتوخى فيه أداء المعنى القريب الميسور الراجح، ثم يترجم هذا التفسير بأمانة وبراعة، فإن هذا يقال فيه: "ترجمة تفسير القرآن" أو "ترجمة تفسيرية" بمعنى شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى. ولا بأس بذلك. فإن الله تعالى بعث محمداً -ﷺ- برسالة الإسلام إلى البشرية كافة على اختلاف أجناسها وألوانها: "وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة"، وشرط لزوم الرسالة البلاغ - والقرآن الذي نزل بلغة العرب صار إيلاغه للأمة العربية ملزماً لها، ولكن سائر الأمم التي لا تُحسن العربية، أو لا تعرفها يتوقف إيلاغها الدعوة على ترجمتها بلسانها. وقد عرفنا قبل استحالة الترجمة الحرفية وحرمتها. واستحالة ترجمة المعاني الثانوية، ومشقة ترجمة المعاني الأصلية وما فيها من أخطار، فلم يبق إلا أن يترجم تفسير القرآن الذي يتضمن أسس دعوته بما يتفق مع نصوص الكتاب وصريح السنّة إلى لسان كل قبيل حتى تبلغهم الدعوة وتلزمهم الحجة. وترجمة تفسير للقرآن على نحو ما ذكرنا يصح أن نسميها بالترجمة التفسيرية. وهي تختلف عن الترجمة المعنوية وإن كان الباحثون لا يفرقون بينهما، فإن الترجمة المعنوية توهم أن المترجم أخذ معاني القرآن من أطرافها ونقلها إلى اللغة الأجنبية، كما يقال في ترجمة غيره: ترجمة طبق الأصل. فالمفسر يتكلم بلهجة المبيّن لمعنى الكلام على حسب فهمه، فكأنه يقول للناس: هذا ما أفهمه من الآية، والمترجم يتكلم بلهجة من أحاط بمعنى الكلام وصنّه في ألفاظ لغة أخرى. وشتان بين الأمرين. فالمفسر يقول في تفسير الآية: يعني كذا، ويذكر فهمه الخاص. والمترجم يقول: معنى هذا الكلام هو عين معنى الآية، وقد عرفنا ما في ذلك. وينبغي أن يؤكّد في الترجمة التفسيرية أنها ترجمة لفهم شخصي خاص، لا تتضمن وجوه التأويل المحتملة لمعاني القرآن، وإنما تتضمن ما أدركه المفسر منها، وبهذا تكون ترجمة للعقيدة الإسلامية ومبادئ الشريعة كما تُفهم من القرآن.

وقد اشترط لجواز الترجمة شروط منها:
الأول: أن لا تجعل بديلاً عن القرآن بحيث يستغنى بها عنه، وعلى هذا فلا بد أن يكتب القرآن باللغة العربية وإلى جانبه هذه الترجمة، لتكون كالنفسير له.

الثاني: أن يكون المترجم عالماً بمدلولات الألفاظ في اللغتين المترجم منها وإليها، وما تقتضيه حسب السياق.

الثالث: أن يكون عالماً بمعاني الألفاظ الشرعية في القرآن، ولا تُقبل الترجمة للقرآن الكريم إلا من مأمون عليها، بحيث يكون مسلماً مستقيماً في دينه.